جامعة خميس مليانة
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
كلية علوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عبد العزيز الثعالبي ودوره السياسي والثقافي (1874 - 1944 م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

إعداد الطالبتين :

- رزيقة بوجمعة
- فاطمة الزهراء بوبكر

تحت إشراف :

أ – عبد الرحمان التونسي

السنة الجامعية : 2014/2013 م

جامعة خميس مليانة
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
كلية علوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عبد العزيز الثعالبي ودوره السياسي والثقافي (1874 - 1944 م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

إعداد الطالبتين :

- رزيقة بوجمعة
- فاطمة الزهراء بوبكر

تحت إشراف :

أ – عبد الرحمان التونسي

لجنة المناقشة :

الأستاذ : .....رئيسا

الأستاذ: عبد الرحمان التونسي مقررا

الأستاذ : .....عضوا

السنة الجامعية : 2014/2013 م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل نتوجه بجزيل الشكر و الإمتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ماواجهنا من صعوبات ونخص بذكر الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا تونسي عبد الرحمان
كما نشكر الأستاذ سعيداني الذي ساعدنا في هذا البحث فجزاه الله منا كل التقدير و الإحترام
كما نشكر كل من ساهم في كتابة وطباعة هذه المذكرة

إهداء

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و الحنان،إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة.

إلى من كلله الله با الهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار أبي العزيز

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إخوتي طيب، فتيحة ،فظيلة، خديجة

إلى كل صديقاتي سمية، سامية،حبيبة آسيا،ريمة

إلى صديقتي في هذا العمل رزيقة بوجمعة

الإهداء

أهدى هذا العمل إلى من أنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات ، إلى اغلي إنسان في هذا الوجود ، أمي الحبيبة .

إلى من عمل بكد في سبيلي وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي إخوتي وأخواتي

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل صديقتي ورفيقة دربي بوبكر فاطمة الزهراء والى كل الأصدقاء والأحباب

مقدمة

غذي تاريخ تونس المعاصر بمجموعة من الشخصيات تركوا بصمات واضحة في مسار الحركة الوطنية التونسية بأشكالها الثقافية و السياسية و الفكرية المختلفة ، وكان لهم عظيم الأثر في بعث نشاطهم ضد المشروع الاستعماري الفرنسي الذي سعى إلى إلغاء وجود هذه الأمة.

إن دراسة الأعلام و تتبع جهودهم لها أهمية كبري في الحفاظ علي رصيدهم النضالي و أعمالهم الدءوبة من أجل نصرة الحق و ردم الظلم، كما يعتبرون المنارات المضيئة التي يحاول الاستعمار إطفاءها بكل الوسائل.

ومن هنا كان موضوع دراستنا حول شخصية من هذه الشخصيات وهي"عبد العزيز الثعالبي و دوره السياسي و الثقافي، و الإطار التاريخي لهذا البحث يمتد من تاريخ ميلاده سنة 1874م إلي غاية وفاته 1944م،وهي فترة حافلة بالعديد من التحديات و الصعوبات في سبيل تحرير الأمة العربية و الإسلامية من الاستعمار الغربي .

كما يعد رجلا من رجال النهضة العربية الإسلامية الحديثة والبارزة في تونس والعالم العربي، و مجاهدا كبيرا وعلم من أعلام الوطنية والإصلاح ،وداعية من أبرز الدعاة إلى العروبة والإسلام في عصره.

تتمثل أهمية هذا الموضوع كونه شخصية لعبت دور كبير في الحركة الوطنية التونسية ، حيث ربطت علاقات مختلفة في مختلف أرجاء العالم .

والجهود التي قامت بها هذه الشخصية في الحفاظ على الشخصية الوطنية والتونسية من خلال نشاطه السياسي والثقافي

أسباب اختيار الموضوع :

- ساهمت عوامل عديدة في دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع أهمها :

1 محاولة إحياء ما خلفه عبد العزيز الثعالبي على غرار الكثير من أعلام تونس من خلال جهادهم بأنفسهم وأقلامهم .

2 -معرفة الطرق والأساليب التي سلكها عبد العزيز الثعالبي في الدفاع عن الوطنية والهوية الحضارية لشعب التونسي وطبيعة علاقته برواد الحركة الإصلاحية في العالم العربي .

3 -شخصية ذات أصول جزائرية حيث كان لجده دور كبير في الحركة العلمية الثقافية في الجزائر و تونس .

4 -المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية وهذا لقلة الدراسات المتخصصة حول هذه الشخصية .

5 -الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام والشخصيات.

6 -من اجل ربط وحدة الأمة العربية و النهوض بها أردنا نفض الغبار علي الشخصيات التي حاولت جمع كافة المنطقة تحت راية واحدة.

7 -كان موضوع البحث محل اهتمام و تشجيع من طرف الأستاذ التونسي عبد الرحمان.

الإشكالية :

تتمثل إشكالية هذا الموضوع في دراسة علم من أعلام الحركة الوطنية التونسية ورجل من رجال الإصلاح في العالم العربي الذي قام باكتساب ميادين نضالية متنوعة وتشبعه بالأفكار القادمة من المشرق فأنتجت فكرا غزيرا إنعكس على مجالات ثقافية و سياسية فتأثر و أثر .

ولأجل التعرف أكثر على هذه الشخصية ومدى تأثيرها على الساحة التونسية خاصة والعربية الإسلامية عامة من خلال نشاطه السياسي والثقافي ارتئينا أن نطرح الأسئلة الفرعية التي تفرض نفسها في هذا السياق وهي كالآتي :

1 -من هو عبد العزيز الثعالبي ، وماهي الظروف التي نشأ فيها ؟

2 -فيما يمكن إنتاجه الفكري والثقافي ؟

3 -ما هي منطلقاته الفكرية ؟

4 -مامدى تأثيره في الحركة الوطنية التونسية ؟

5 -ماالصعوبات التي واجهت مسيرة عبد العزيز الثعالبي النضالية ؟

6 -ما موقفه من مختلف قضايا عصره ؟

خطة الدراسة

و للإجابة عن هذه الإشكالية و الأسئلة الفرعية إعتمدنا علي الخطة التالية :

وضعنا خطة تتكون من مقدمة فصلنا فيها ما جاء في هذا العمل المتواضع من ذكر فصول البحث و منهجه و مصادره و صعوباته بحيث جاء:

الفصل التمهيدي الذي تناولنا فيه الأوضاع العامة لتونس في عهد عبد العزيز الثعالبي من نهاية القرن 19 والنصف الأول من القرن 20 وذلك لمعرفة الظروف التي نشأ فيها وقد قسمناه إلى أربع مباحث .

المبحث الأول : سياسيا

المبحث الثاني : اقتصاديا

المبحث الثالث : اجتماعيا

المبحث الرابع : ثقافيا

أما الفصل الثاني تناولنا فيه شخصية عبد العزيز الثعالبي حيث قمنا بتعريف هذه الشخصية وقسمناه إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : حياته وجاء في ثلاث نقاط:

أ -مولده

ب_ نشأته

ج -رحلاته

المبحث الثاني : إنتاجه الفكري والثقافي من:

أ -مؤلفاته

ب - نشاطه الصحفي

المبحث الثالث : وفاته

أما فيما يخص الفصل الثالث تناولنا فيه الثعالبي ودوره السياسي داخل تونس وقسمناه إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : انضمامه لحركة الشباب التونسي (تونس الفتاة)

المبحث الثاني : دوره في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي .

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي والحزب الدستوري الجديد .

أ -الصراع بين الجديد والقديم

ب محاولة إصلاحه

أما الفصل الرابع: تناولنا فيه نشاط الثعالبي داخل الأمة العربية والإسلامية وقسمناه إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نشاطه في المشرق .

المبحث الثاني : علاقته بالرواد الجزائريين بعد عودته من المشرق .

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره .

المصادر والمراجع :

ولدراسة هذا الموضوع رجعنا إلي عدة مصادر ومراجع منها ما ارتبطت بإنتاج عبد العزيز الثعالبي ومن عاصرته و كذلك إلي دراسات أكاديمية ومنها:

1 -"تونس الشهيدة " 1920م الذي هدف من خلالها إلى إطلاع الفرنسيين على الأوضاع التي يعيشها التونسيون في ظل الحماية الفرنسية .

2 -"كتاب روح التحرر في القرآن " والذي ضم آراء الثعالبي الإصلاحية في جميع الأفكار التي كانت موضوع نقاش في ذلك الوقت كتعليم المرأة والطرق الصوفية والاستعمار .

3 كما اعتمدنا على أحمد توفيق مدني والذي كان منخرطا في الحزب الحر الدستوري التونسي إضافة إلى علاقته الوطيدة مع عبد العزيز الثعالبي.

كما اعتمدنا أيضا على بعض المراجع المتخصصة مثل صالح الخرفي في كتابه عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخياره في المشرق والمغرب الذي يتضمن جملة من المقالات في قضايا متعددة كالوحدة العربية والكفاح السياسي في الهند .

بالإضافة إلى كتاب كتاب الطاهر عبد الله " الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية و قومية ، والذي يتضمن فجر الحركة الوطنية في بداية الاحتلال الفرنسي والمقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي و كتاب الأستاذ خليفة شاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الذي يتضمن الحماية الفرنسية في تونس والأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية عند فرض الحماية،كما اعتمدنا على بعض المجلات مثل مجلة إسلامية المعرفة عبد الرحيم الخليفي الذي كتب في مقال بعنوان محمد عبد العزيز الثعالبي

منهج الدراسة :

إعتمدنا في مختلف فصول هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي الوصفي متبعين التسلسل الزمني للأحداث ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في صعوبات الدراسة :

لا تخلوا أي بحث من الصعوبات ونحن كباحثين مبتدئين واجهتنا جملة من الصعوبات منها:

- قلة المادة العلمية في هذا الموضوع خاصة في المكتبة الجامعية لخميس مليانة .
- وجود معظم المادة العلمية في الأرشيف الفرنسي والتونسي والتي وجدنا صعوبة في الوصول إليها .
- وجود تضارب في المعلومات بين المؤلفين فيما يخص العديد من القضايا التي تخص عبد العزيز الثعالبي و قد استغرق منا ذلك وقتا طويلا خاصة مع ضيق الوقت.
- صعوبة التحكم في المادة و توظيفها مما تطلب تدخل الأستاذ المشرف في كل مرة للتوجيه.

الفصل التمهيدي

تونس في عهد عبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: سياسيا

المبحث الثاني: اقتصاديا

المبحث الثالث: اجتماعيا

المحث الرابع: ثقافيا

إن ضعف الدولة العثمانية إثر انهزام أسطولها في معركة "نفارين" سنة 1827م في بلاد اليونان التي كانت تطالب باستقلال عنها ،إضافة إلى الاضطرابات الداخلية و الخارجية بالرغم من وقوف تونس ومصر إلى جانب الدولة العثمانية في تلك المعركة هذا ما جعلها تضمحل تاركة الإيالات التابعة لها تواجه مصيرها بنفسها ومن بين هذه الإيالات تونس[1].

في بداية القرن 19م وفي إطار الهجمة الاستعمارية الأوروبية تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر سنة 1830م فأصبحت تهدد تونس، واعتبرت هذه الأخيرة بمثابة قاعدة لإنطلاق حركة ثورية قد تهدد وجودها في الجزائر لذلك قرر ساساتها وجوب السعي لإضافة الإيالة التونسية التي شكلت منطقة تفوق ، لذلك شرع في التخطيط لإحتلالها[2].

وخلال هذه الأحداث المتلاحقة كان الثعالبي صغيرا لا يتجاوز 7سنوات وبعد فرض الحماية على تونس و توقيع معاهدة "باردوا" في 12 ماي 1881م، تدهورت الأوضاع العامة لتونس في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والثقافية[3] ، حيث تناولنا في هذا الفصل أوضاع تونس في عهد عبد العزيز الثعالبي ويتفرع إلى ثلاث مباحث،

المبحث الأول الوضع السياسي أما المبحث الثاني تناولنا فيه الواقع الاقتصادي والمبحث الثالث الواقع الاجتماعي و فيما يخص المبحث الرابع فخصصناه للوضع الثقافي في تونس.

---

[1]–رأفت الشيخ : تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1996 ، ص 141 .

[2]–عبد الرحيم الخليفي، " محمد عبد العزيز الثعالبي سيرة المجاهد والمصلح الاسلامي " مجلة اسلامية المعرفة ، ع 44 بيروت 1427 هـ / 2006 م ص ص 13 – 14

[3]–عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ، تحقيق وتقديم ، سامي الجندي ، ط1 دار القدس ، بيروت 1975 ، ص 5 .

المبحث الأول:سياسيا

لقد خضعت تونس كغيرها تحت نفوذ الحكم العثماني حيث توالى على الحكم الوراثي فيها منذ 1705م العائلة الحسينية[1]،و كان الحكم يتداول داخل الأسرة الحسينية[2]وقد **مرت تونس بفترتين أساسيتين:**

الفترة الأولي (1805م–1837م) بانتهاء حكم مصطفى باي، أما الفترة الثانية (1837م_1881م) تعاقب على حكمها ثلاث بايات،المشير أحمد باشا(1837م–1855م) ومحمد باي الثاني[3](1855م–1859م)،ومحمد الصادق[4](1859م–1881م)والبالغ من العمر 67 سنة وهو الأمير 12في الدولة الحسينية ،حيث بدأ باتخاذ إجراءات لوضع الأسس التي قام عليها عهد الأمان موضع التنفيذ ،فأنشأت عام 1861م المجالس الأهلية للفصل في القضايا بمقتضى القوانين التي أعلنت للسكان،كما أنتخب مجلس من ستين عضوا للنظر في مصالح البلاد وإبداء الرأي في بالمسائل السياسية والعجيب أن الخطوة الدستورية منحت للأجانب حقوقا

---

[1]–العائلة الحسينية :بعد أن انهزم إبراهيم الشريف في جويلية 1705م وجدت البلاد نفسها مهددة ،حيث عمت البلاد موجة من البلبلة و الاضطراب إلى أن عين حسين بن علي بابا على تونس 1705م، فقوم الوضع وأسس في الآن نفسه ملكا سيكتب له الدوام في ذريته إلى سنة 1956م .أنظر.محمد الهادي الشريف ،تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، محمد الشاوشي ، ومحمد عجينة ، دار سراس للنشر ،تونس 1980م ص81.

[2]–علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تحقيق :عمر بن ضر وحليمة قرقوري ، درا سراس للنشر ، تونس 1986 م ، ص 02 .

[3]– أحمد باي: هو ابن الباي مصطفي باشا ولد سنة 1784 م ،استمرت ولايته 17 عام من (1839– 1856) كانت تربيته وميوله عسكرية ، وقد نشأ في طور الإصلاحات العسكرية النظامية التي أخذتها الدولة التونسية تبعا لتنظيمات السلطة محمود الثاني وقد طالب من أحمد باي أن يطبق الإصلاحات في تونس ، أنظر محمد الفاضل بن عاشور ، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، ط 3 ، دار تونسية للنشر ، تونس 1972 ص 11

[4]–محمد باشا: (1855 م – 1859م) خلف ابن عمه أحمد باي تميز باستفحال الاحتلال والضعف أصدر قانون عهد الأمان يتضمن 11 مادة حيث يضمن للرعية حقوقهم ويعطي امتيازات للأجانب ، انظر: ، مصدر نفسه ، ص 19 .

مساوية لحقوق المواطنين[1] ثم خلفه أخاه محمد باشا قبل انتصاب الحماية بـــ 22 سنة ولكن هذا الأخير كان له نقص في التكوين وضعف في الإدارة ، تاركا السلطة لحاشيته وكان غير مؤهل لتسيير شؤون الدولة[2].

وقد حاول "خير الدين التونسي" [3]الوقوف في وجه المطامع الأجنبية مما أكسبه حب الشعب وتقديره ،وانتهى هذا الصراع بإعلان عهد الأمان[4]1857م[1]،وفي سنة 1881م سقطت البلاد التونسية التي كانت تابعة للخلافة العثمانية منذ ما يقارب 3 قرون تحت سيطرت فرنسا التي امتدت إمبراطوريتها من قبل ذلك التاريخ إلى الجزائر المجاورة.

وبذلك اضطر بايات تونس الذين كانوا يتمتعون باستقلالية واسعة النطاق إلى تسليم الإدارة الفعلية للبلاد إلى ممثلي الجمهورية الفرنسية بتونس وذلك بمقتضى معاهدة باردوا

---

[1] – محمد الصادق :(1859 م – 1881 م) ولد في 07 فيفري 1813 ، ورث الحكم عن أخيه وهو الباي 12 من الأسرة الحسينية دام حكمه 22 سنة كان ميال للترف دون حدود حتى وقع أسيرا لوزرائه فأصبح قليل الاكتراث بشؤون البلاد ، انظر الشيباني بن بلغيث ، الجيش التونسي في العهد الصادق باي (1854 م – 1881 م) ، تحقيق: عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، جامعة سفاقس 1995 ، ص 65

[2] –شاوشي حباسي ،« الايالة التونسية قبل فرض الحماية الفرنسية» ، مجلة الدراسات التاريخية، ع 6، سنة 1413 هـــ ، 1992 م ، ص 141 .

[3] – خير الدين التونسي:(1820م–1890م) لقب بأبو النهضة التونسية الحديثة ،بدأ حياته مملوكا في أحد بيوت الأشراف في الأستانة حيث ضحك له القدر فانتقل إلى كنف أحمد باي واشتغل مناصب عدة منها،الأعمال الهامة في الإدارة و التعليم وتنظيم الوزارات .أنظر: سمير أبو حمدان ،موسوعة خير الدين التونسي، موسوعة عصر النهضة،دار الكتاب العالمي ،1993م،ص05

[4] –إثر وفاة الأمير أحمد باي سنة 1855م ارتقى إلى العرش ابن عمه المشير الثاني محمد باي المعروف بتمسكه بالتعاليم الدينية ،وعبثا حاول أنصار الإصلاح من ذوي الثقافية الزيتونية إقناعه بأن نظم الحماية الدستوري لايتفانى مع الشريعة الإسلامية ،إلا إن حادث المواطن اليهودي سفاز الذي نفذ فيه الباي حكم الإعدام 1857م ،بتهمة التطاول على الدين الإسلامي قد غير الوضع رأسا على عقب،فقد ثارت ثائرة قناصل الدول الأوروبية بتونس وأجبر الباي على إصدار قانون لحفظ مصالح الدول الأجنبية ،وفي يوم 9سبتمبر 1857م أعلن الباي على وضع المبادئ العامة لميثاق عهد الأمان.أنظر حمادي الساحلي،فصول في التاريخ والحضارة، ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان1992، ص73

[1]–الطاهر عبد الله ،الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ، ط1 ، دار المعارف للطباعة والنشر تونس ، ص21

واتفاقية المرسى [1]، حيث تبنت شكلا استعماريا جديدا يعرف بالنظام الحماية، وقد استفادت فرنسا كثيرا من التجربة التي خاضتها في الجزائر حيث لم تكن مستعدة للوقوع في نفس الأخطاء التي ارتكبتها في مستعمراتها القديمة ،فمن الناحية السياسية و الإدارية خالفت وعودها في معاهدة "باردوا" وقبضت على السلطة التنفيذية و التشريعية للبلاد وأفقدت الباي شخصيتة كحاكم،وانتقلت السلطة من الناحية العملية إلى المقيم العام حيث أصبح المديرون المحافظون خاضعين للمراقبين الفرنسيين الذين جعلت تعليماتهم واجبة التنفيذ[2].

وبعد إمضاء الباي "محمد الصادق" معاهدة الحماية واجه التونسيون هذا الاحتلال بثورات شملت أنحاء البلاد في جميع المناطق (القيروان ، سوسة ، قابس) و استمرت هذه المقاومة بعد قصف دام عدة أيام وتواصل حتي 15 جويلية و رغم ما أبداه رجال المقاومة من بسالة وشجاعة أدت إلى هلاك عدد كبير منهم[3].

وقد عاشت صفاقس خلال جوان 1881م جو من الاضطرابات قام بها عامة السكان بالاشتراك مع جمع من قبيلة مثاليف حيث كانت الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية وهذا ما بعث الفزع في الجاليات الأوروبية، غير أنها لم تستطيع الصمود طويلا أمام الأسطول الفرنسي فسقطت مدينة صفاقس في جويلة 1881م ، لكنها استمرت حتى 1910م[4] .

امتدت مقاومة التدخل الفرنسي من الشمال إلى الوسط ثم جنوب البلاد التونسية وتواصلت إلى فيفري 1882 م ، حيث تصدت لها قبائل الشمال ومنها الخمير لكن استشهد فيها الكثير من التونسيين ، حيث ظهر التفوق المطلق لقوة النار الفرنسية ، وتواصلت بعض القبائل الشمال ضد الاحتلال بجهة زغوان في سبتمبر 1881 م ، أما السلطة الفرنسية فقد حرصت على غزو القيروان [1].

---

[1] –أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر ،تحقيق :حمادي الساحلي، ط1 ، الشركة التونسية لتوزيع،تونس، ص7

[2] – المحجوبي، مرجع سابق ، ص6

[3] – صلاح الدين التلاتي،تونس الجديدة مشاكل ونظريات في فجر النهضة،دار النشر بوسلامة ،تونس 1959م،ص ص51 –52.

[4] – المحجوبي ، مرجع سابق ، ص 49

[1] –خليفة شاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال،ج3 ، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية ،تونس 2005م،ص ص 26–27

وظهرت قبائل أخرى مثل قبائل الجلاص وماجر وفراشيش وبني يزيد وأولاد عيار فاتحدت ضد العدو المشترك من أجل إخراجهم من المنطقة ، كما بادرت مدينة قابس من جهتها برد الفعل فمدت يد المساعدة لمدينة صفاقس وذلك بالالتجاء إلى حمل السلاح عند مشاهدة البارجة الفرنسية ،لكنها تعرضت للاحتلال من قبل العدو باشتباك الجنود الفرنسيين وأهالي قابس في معركة الحراب .[2]

ولم تكن معاهدة الحماية سوى قرار للحكومة الفرنسية على محمد الصادق ومع ذلك فهي لم تجرد الباي من كامل سلطته وكأن فرنسا أرادت بذلك الاكتفاء بضمان نفوذها في البلاد التونسية على حساب بقية القوى الأوروبية حتى أنها حرمت الباي من تسيير شؤون البلاد الخارجية [3]، أما جهة الساحل والوسط فلم تستسلم للأعداء إلا في شهر سبتمبر وأكتوبر بعد أن واجهت ببسالة القوات الغازية التي تم بها احتلال القيروان ، بعد أن فتحت كل الطرق المؤدية إلى هذه المدينة ،وهكذا سار جيش الاحتلال يهيمن على أهم مناطق الايالة في نهاية سنة 1881 م ، حيث اعترفت السلطات العسكرية الفرنسية بان أفراد هذه القبائل قد استماتوا في الدفاع طول ساعات عديدة ولم يوقفوا القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة،ثم تواصلت المقاومة في جهة جندوبة بمشاركة قبائل بوسالم وعمدون وكانت هذه القبائل مدعمة بأبنائها من الجنود الذين فروا بأسلحتهم من معسكر على باي للدفاع عن مواطنهم[4] .

إن تدهور الأوضاع السياسية أدى إلى ضعف الإيالة التونسية كما أجهز المحتل كذلك أول احتلاله على موطن القوة في الأمة آنذاك وهو اقتصاد البلاد .

المبحث الثاني: اقتصاديا

لقد تميزت سياسة بايات تونس قبل الحماية بمنح الامتيازات للدول الأجنبية، وأدى هذا التدخل الأجنبي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في تونس ووقوعها تحت نظام الحماية كشكل مقنع من أشكال الاستعمار والذي صاحبه إستحواذ و سيطرة على مصادر الثروات.

---

[2] _القصاب ، مرجع سابق ، ص ص 32 _ 33 .

[3] –علي المحجوبي ، مرجع سابق ، ص 60

[4] _نفسه ، ص 46 .

يرجع الباحثون إلى أن بداية علاقة تونس بالدول الأجنبية كان في عهد أحمد باي و الذي تميزت فترته بالتفتح على الثقافة الغربية[11].

و قد طبق العديد من الإصلاحات بالبلاد التونسية فيما يخص التعليم و الجيش و العمران[2]خاصة بعد أن زار فرنسا و أعجب بمظاهر الحياة هناك، و أعجب بقصر فرساي الفرنسي حيث أراد أن يبني نظيرا له في بلاده[3]. فوقعت البلاد في أزمة مالية بسبب تكلفة هذه المشروعات الضخمة، و أجبر على مضاعفة الضرائب على الشعب، وقد اضطر في النهاية إلى إيقاف الكثير من مشروعاته[4].

ومما أدى كذلك إلى تدهور الأوضاع المالية والاقتصادية، الاختلاسات المالية لبعض معاوني الباي، الذين كونوا ثروات وتآمروا مع الأجانب مقابل نسب من الأرباح ،ومنهم مصطفى خزنة دار[5]الذي كان وزير مالية الباي و صهره، و محمود العياد[6] الذي كان مسؤولا عن جمع الضرائب و قد كانت تربطهما مصلحة مشتركة في عقد الصفقات و تحصيل وتهريب أموال كبيرة إلى فرنسا[73].

و بعد وفاة أحمد باي خلفه ابن عمه محمد باي الذي فتح الباب أمام التكالب الاستعماري الفرنسي و الانجليزي وذلك بمنح الامتيازات للشركات الأجنبية و رؤوس

---

[1] – الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،(ليبيا ،تونس ،الجزائر ،المغرب)،ط1،المكتبة لأنجلو المصرية،القاهرة1977 م ،ص 286.

[2] –من الإصلاحات التي قام بها أحمد باي هي: إنشاء مدرسة حربية، إنشاء جيش قوامه 25 ألف رجل، إنشاء مصانع للذخيرة، دار الصناعة السفن، إنشاء أسطول تونسي، شجع نشر العلم و أكرم العلماء، بناء قصر المحمدية. أنظر: إسماعيل أحمد ياغي،العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1،مكتبة العبيكان ، الرياض 1997 م ، ص 142.

[3] – نفسه، ص 139.

[4]–الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، مرجع سابق، ص 287.

[5] –مصطفى خزنة دار: يوناني الأصل والولادة، ولد سنة 1817م و بيع صغيرا في أسواق إسطنبول ثم بيع مرة ثانية إلى بايات تونس، تربى في قصور الأسرة الحسينية الحاكمة، تعلم الإسلام و علوم الدين صحبة أحمد باي الذي نشأ معه في قصر أبيه. أنظر: الشيباني بن بلغيث ، مرجع سابق،68.

[6] –محمود العياد: كان اليد اليمنى لمصطفى خزنة دار و قد تولى 20 سنة منصب جمع الضرائب و هرب إلى فرنسا حاملا معه مبلغا ماليا كبيرا تاركا دينا كبيرا على الدولة بمبلغ 20 مليون ريال، و اضطر الباي إلى إرسال خير الدين التونسي لمقاضاته في فرنسا و قد نجح خير الدين في ذلك. أنظر: سمير أبو حمدان ، مرجع سابق ، ص 29.

[7] – إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط2 ، مكتبة العبيكان، الرياض 2006 ، ص 344.

الاموال[1] و جاء ذلك في "قانون عهد الأمان" الذي صدر عام1857 يعطي للجاليات الأوروبية الحق في الاتجار، وامتلاك العقار والأراضي[2].

أما في عهد صادق باي فقد ازدادت الأمور سوءا حيث تدفق على تونس عدد كبير من الأجانب بفضل الحقوق التي منحت لهم في " عهد الأمان" و أسهم هؤلاء في تدهور إقتصاد تونس بعد أن استفادوا من ثرواتها و استنزفوا خيراتها ، ففي هذه الفترة ضعف الإنتاج الزراعي[2]

و أصبحت الصناعات التقليدية تعاني من المزاحمة الأوروبية[3] وقد كان الهدف من هذه التدخلات الاقتصادية و المالية هو الاستحواذ على الاقتصاد التونسي و القضاء على الصناعات المحلية التي تدهورت قبيل الحماية بسبب إعفاء التجار الأجانب من الضريبة المحلية داخل حدود تونس، إضافة إلى منحها امتياز خفض الضرائب الجمركية 8% فقط، وهكذا فإن فرنسا و إيطاليا و بريطانيا كانت تسيطر على 92% من المبادلات التجارية التونسية[4].

و وصل الأمر إلى أن نهبت الحكومة أموال الأوقاف، وقد كان الأوروبيون يشجعون الحكومة على الاقتراض من بنوك لندن وباريس, حيث نجح مصطفى خزنة دار أن يجر الباي إلى عقد قرض جديد بفائدة 8%، و كررت بعد ذلك العديد من صفقات القروض و كان مصطفى خزندار يختلس لنفسه مبالغ يضمها لثروته [5].

إن حب الصادق باي للترف و وجود مصطفى خزندار معه جعله يتوسع في الانفاق دون حسب حتى فرغت الخزينة بسبب مصاريف خاصة وكمالية يجملها ابن أبي

---

[1] – الطاهر عبد الله ، مرجع سابق ، ص 21.

[2] –أحمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 345.

[2] – الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،مرجع سابق، ص ص 289_290.

[3] – غمرت المنتوجات الأوروبية أنحاء الإيالة و أدى غزو أقمشة ليون الحريرية وأقمشة مانشستر القطنية للأسواق المحلية إلى إفلاس الحائكين التونسيين، كما انخفضت قيمة صادرات الشاشية بداية من سنة 1795م إلى 250000 فرنك بعد أن كانت تفوق 3 ملايين فرنك، وأصبحت الطرابيش الفرنسية و المجرية أكثر رواجا.أنظر: المحجوبي، مرجع سابق، ص 19.

[4] – حباسي، مقال سابق، ص 142.

[5] – الجمل،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث مرجع سابق، ص 291.،

الضياف[1] بقوله في تعبير مختصر " فيما لا ينفع وجوده و لا يضر عدمه من الأمور التحسينية و لا أقول الضرورية و الحاجية أكثر من الكثير" حتي غرق في فخ الديون من البنوك الأجنبية، فلجأ إلى مضاعفة الضرائب على الشعب رغم معارضة الوزير خير الدين، وقد ترتب عن ذلك ثورة 1864م و انتشرت بكل المدن و القرى و كان غضبها موجها ضد المتسببين في تدهور البلاد خاصة العمال و حياة الضرائب[2].

وسقطت تونس في حالة من الخراب والدمار و الفوضى، امتدت 6 سنوات و قد كانت ذريعة ملائمة للتدخل الأجنبي في البلاد التونسية حيث وضعت سنة 1869 أموال الدولة تحت الرقابة الأجنبية و تولى الإشراف عليها لجنة دولية[3].

كانت اللجنة مكونة من تونسيين وأجانب وعبارة عن جهازين ، اللجنة التنفيذية ولجنة المراقبة :

-**اللجنة التنفيذية :** تتألف من ثلاثة أعضاء ، وكان يرأسها الوزير الأكبر بمساعدة عضو تونسي ومتفقد مالية فرنسي ، يعينه الباي وكانت هذه اللجنة الجهاز المركزي للإدارة المكلفة بجباية الضرائب المخصصة لتسديد الديون التونسية ،كما تعتبر في الوقت ذاته وزارة مالية لحكومة الباي وهو ما يخول لها إعداد ميزانية البلاد .

-**لجنة المراقبة :** وتتركب من ستة أعضاء منتخبين يمثلون مقرضين الحكومة التونسية ، اثنان من انجلترا واثنان من ايطاليا،ولهذه اللجنة الحق في مراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية وتفوض اللجنة المالية الدولية مجلسا إداريا للتصرف في المداخيل الخاصة بتسديد الديون ويتألف من خمسة أعضاء (عضو تونسي تعينه اللجنة التنفيذية وأربعة يمثلون المقرضين فرنسي ، إنجليزي ، ايطالي ، أوروبي من أي جنسية)[1].

---

[1] -ابن أبي الضياف: ولد بتونس سنة 1219ه بلغ درجة مرموقة من الثقافة، تولى في عهد أحمد باشا المبعوث في السفارات الهامة، أصبح في عهد الصادق باي وزيرا للتعليم و من أعضاء مجلس الشورى، ساهم في شرح و طبع "قانون الأمان" توفي في 1291ه.أنظر:المرجع نفسه ، ص 285.

[2] -المرجع نفسه، ص 273.

[3] – عبد الله، مرجع سابق، ص 23.

[1] -المحجوبي ، مرجع سابق ، ص 10 .

و من القضايا الأخرى التي زادت في الأزمة المالية هو تعدد الاحتيال و الاختلاس من بعض التونسيين و الأجانب منهم: القائد نسيم شمامة و الذي هرب أثناء ثورة 1864م بأكثر من 20 مليون ريال، إضافة إلى أحمد زروق وزير الحرب و الذي له دور كبير في تبديد الأموال وصرفها في شؤونه الخاصة.

و اليهودي نين وفولتير الذي اشتهر بالسمسرة في تونس وقد تضرر على يديه الكثير من الفلاحين و التجار، وكان مختصا في ترويج العملة المزيفة.إضافة إلى ذلك اشتهر الباي الصادق بمنح الأوسمة لمن هب و دب و كانت هذه الأوسمة تكلف الدولة أموالا طائلة[2].

وقد قدرت اللجنة المالية الدولية ديون البلاد التونسية آنذاك ب: 125 000 000 فرنك فقسمت مداخيل الإيالة إلى قسمين: القسم الأول خصص لنفقات الدولة و الثاني لتسديد الديون.

لم تكن هذه اللجنة تكترث بمصالح البلاد التونسية فقد كان همها هو الدفاع عن مقرضي الباي و تأمين ديونهم، فما بين سنتي (1871-1877) تحصلوا على فائض سنوي قدره 5% أي ما يقابل 25 فرنك على كل سهم ب 500 فرنك.

و على امتداد السنوات العشر السابقة للحماية (1871م- 1881م) كان معدّل الفوائد يقدر ب 4,733% في السنة وهذا العبء يكلف البلاد التونسية أكثر من 6 ملايين فرنك سنويا[3].

و قد تطلب عمل اللجنة التدخل في كل فروع الإدارة بالبلاد، حيث نظر الوطنيون إلى هذا التدخل الأجنبي في شؤون بلادهم نظرة السخط و التذمر، و قد كانت اللجنة المالية رمزا لسيطرة الغرب و أداة لاستغلاله و إذلاله للشعب التونسي[4].

وبذلك أصبحت الدولة التونسية مقيدة لا تسطيع القيام بأي إصلاح أو أي مصلحة عمومية دون موافقة اللجنة الدولية، و أصبح إنتاج البلاد يتدهور باستمرار مما أدّى إلى نقص في المحاصيل وازدادت حالة الفقر في المجتمع[1].

---

[2] – بن بلغيث، مرجع سابق، ص ص 74-75.

[3] – المحجوبي ، مرجع سابق، ص ص 9-10.

[4] – الجمل، مرجع سابق، ص 295.

إن انفتاح البلاد للمنتوجات والأفكار والتجار ثم الماليين الأوروبيين قد نتجت عنه صعوبات مالية لا قدرة للدولة والسياسيين على مواجهتها حيث حرمت مما كان يوفره لها الجهاد البحري في السابق من موارد خارجية، كماحرمت مما كان يوفره لها تصدير منتوجات البلاد فزاد الحكام من أثقال كاهن الرعايا بالضرائب [2] ، إضافة إلى الكوارث الطبيعية والاضطرابات النقدية والفوضى السياسية التي أخذت تحل بالبلاد شيئا فشيئا [3].

و بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس 1888م مكنت الإدارة الفرنسية الفرنسيين الحصول على مساحات واسعة من الأرض[4]كما استولت على أملاك الدولة من الأرض البور و الغابات، والأراضي المملوكية للأفراد الذين لا يستطيعون إثبات ملكيتهم لها، إضافة إلى أراضي القبائل و الأوقاف، و سلمت هذه المساحات الشاسعة للشركات الفرنسية و المهاجرين الفرنسيين[5]

---

[1] – المحجوبي، مرجع سابق، ص 13.

[2] –كانت الضرائب التونسية في سنة 1881 م ثقيلة جدا حيث كانت تسلط على الأشخاص وتوظف على المنتوجات الفلاحية والبضائع التجارية ، ولم تكن هذه الضرائب موزعة توزيعا عادلا بل كانت تسلط أساسا على الفئات الفقيرة والكادحة من السكان، وقد اعفي الكثير من الضرائب خاصة الأثرياء وذلك برشوة جباتها او وجهاء القصر ويشمل هذا الإعفاء كبار الفلاحين والمقربين من الباي . انظر : نفسه ، ص ص 11 _ 12

[3] – محمد الهادي شريف ، مرجع سابق ، ص ص 97 _ 98 .

[4] –السرحاني راغب: "قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011م، ط 1، دار أفلام للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة 1432ه/2011م، ص 65.

[5] –محمود شاكر:" العالم الإسلامي الحديث و المعاصر الجزء الثاني قارة إفريقيا"، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية 1413هـ/1993م، ص 103.

و قد نتج عن ذلك أنه أصبح المستوطنون في تونس بعد ح.ع.2 يملكون 7501500 هكتار من الأراضي، و يتميز الاستعمار الزراعي في تونس بالملكيات الكبيرة، و استخدام الأيدي العاملة التونسية فيها مأجورة دون أن تملك ، وقد قامت السلطات الفرنسية بإبعاد الأهالي التونسيين عن أراضيهم ومنحتها للمعمرين ومنحت للتونسيين مقابل ذلك أراضي لا تصلح للزراعة ، وهي المناطق التي كانت تستعمل بالخصوص مراعي للغنم .

وقد كان المعمرون يستعملون آلات ميكانيكية حديثة لاستغلال مساحات شاسعة ، ومما زاد في خطورة الوضع هوالنمو الديمغرافي أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد كتب الثعالبي عن ذلك في كتابه " تونس الشهيدة " بقوله " لقد أصبح الفلاحون يعملون في خدمة الأسياد الجدد فتراهم يهيمون في الأرض معرضين إلى المجاعة التي لا تهدي إلى الخير ، يضايقون المدن بشقائهم المزعج ويتجهون إلى الصحراء القاحلة والمفجعة سعيا وراء الحصول على لقمة العيش التي يبتعد سرابها إلى الأبد "

وقد أضاف يقول " أن الحكومة عندما نصبت المعمر لم تشفق على أولئك المساكين الذين سلبتهم أرزاقهم فلم تخصص لهم ادني قطعة من الأرض يمكن أن يقيموا عليها خيامهم ،وان ما يزيد ذلك قساوة تعمد المعمر على قلب المقابر بمحراثه رأسا على عقب دون احترام للأموات واستعماله لعظامهم قصد إخصاب حقوله ...[1] .

و إذا كان الاستيطان الفرنسي سيطر على الثروة الزراعية فقد سيطر أيضا على الثروة المعدنية خاصة الفوسفات والحديد[2]، حيث أسندت إلي الشركات الفرنسية مهمة البحث عنها و الحصول عليها.

أما النشاط الصناعي فمعظمه كان في يد الشركات الفرنسية[3]، التي وضعت نظاما

---

[1]- الثعالبي ، تونس ...، ص 126 .

[2] –عبد المالك خلف التميمي: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المغرب العربي– فلسطين – الخليج العربي دراسة تاريخية مقارنة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت نوفمبر 1983، ص 103.

[3]- لعبت الشركات الاحتكارية الفرنسية دورا هاما في الاستيطان في تونس في السيطرة على الأرض والإشراف على جلب المهاجرين واستثمار الأراضي وتسويق المنتجات، وابرز تلك الشركات هي الشركة الفرنسية الإفريقية وشركة الفوسفات والحديد (قفصة) ، وشركة الإيجار الفرنسية والاتحادي والعقاري التونسي ،وقد وجد رأسماليون فرنسيون يستثمرون أموالهم في تونس رغم أنهم لم يرو تونس في حياتهم وأداروا شؤون أملاكهم عن طريق وكلائهم الفرنسيين الذين أصبحوا أثرياء بدورهم نتيجة للخدمات التي كانوا يقومون بها لأولئك رأس ماليين أفراد وشركات . أنظر : نفسه ص ص 38 _ 39 .

جمركيا جعل تونس بموجبه سوقا للبضائع الفرنسية وحدها، و لم يكن يتاح للتونسي الاشتغال بالصناعة إلى بصفة ضيقة، إذ في كثير من الأحيان يتم جلب اليد العاملة من الخارج. و قد كان النشاط الصناعي للتونسيين يعتمد على الصناعات التقليدية التي لا أهمية لدورها في مجموع النشاط الاقتصادي.

كما طغت المواد المصنعة حديثا في أوروبا و في المعامل الأجنبية[1] تونس، حيث أثرت تأثيرا قويا على الصناعة المحلية التونسية و جعلت صادرات تونس لا تتجه إلا لفرنسا[2].

إن تدهور الأوضاع الاقتصادية بسبب المصادرة و الاستغلال وسلب الأراضي و السيطرة علي قطاع الصناعة و التجارة أدي إلي تدهور الأوضاع الاجتماعية .

المبحث الثالث : اجتماعيا

إن التسهيلات التي منحها بايات تونس للأوروبيين، أثرت على الحياة الاجتماعية بها بسبب توافد عدد كبير من الجاليات الأوروبية إليها، و قد أصبح هناك فرق كبير بين حياة البأس التي يحياها الفرد التونسي، ونعمة الحياة الأوروبية التي حرّم منها التونسيين أنفسهم، ما عدا بعض كبار الأثرياء و الحكام.

لقد صارت تونس اثنتين: "تونس التونسيين" الوطنيين أهل البلاد و" تونس المستعمرين" الأوروبيين الذين استأثروا بكل خيرات البلاد[3]، وكان من نتائج ذلك هو اضطراب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وافلاس الخزينة التونسية وانتشار الأمراض مثلّ: مرض الهواء الأصفر (الكوليرا) في البلاد و مات بسببه عدد كبير من السكان، ثم تلاه وباء التيفوس كما انتشرت المجاعات و القحط[4].

وقد أثر الوجود الأوروبي كثيرا على البلاد التونسية حيث استبدل اللباس العربي باللباس الأوروبي ،و أصبحت التشكيلات العسكرية و السلطات الملكية في لباسها و نظامها و آلاتها و مصطلحاتها ذات مظهر غربي، و ظهرت المصنوعات الأوروبية باختراعات و إتقان في الصنع و جمال الذوق.

---

[1] – عبد القادر الخليفي :" أحمد توفيق المدني ودره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983 م"، رسالة ماجيستير في تاريخ الحديث والمعاصر ، قسنطسنة 2006–2007 م ،ص 16 .

[2] –شاكر، مرجع سابق، ص 103.

[3] –الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 15.

[4] –الجمل:" المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مرجع سابق ، ص 296.

ويذهب محمد الفاضل بن عاشور[1]إلى حد المبالغة حيث يقول عن الفرنسيين أنهم امتازوا بقوة الشخصية و الامتياز الذوقي و البراعة العلمية و العملية، و كان شأنهم يرتفع يوما بعد يوم على بقية الأوروبيين حتى أصبح النفوذ المطلق في شؤون الحياة كافة هو للفرنسيين[2].

أن الوضع الديمغرافي في بداية الاحتلال اتسم بالاستقرار حيث كانت تونس تعد سنة 1881 م مليون ونصف المليون ساكن ،و كان هذا الرصيد لا يفي بحاجة الاستعمار الجديد فقامت الإدارة باستقدام اليد العاملة الأجنبية من الأقطار المجاورة (طرابلس ، الجزائر ، وايطاليا).

كما أن ضعف الكثافة السكانية حفز سلطة الحماية على استقطاب المعمرين وتركيزهم بالأرياف[3] . وقد وصل عدد الأوروبيين المتوافدين على تونس سنة 1911 ب 148476 نسمة، مما ساهم في تحول مصادر الثروة إلى هؤلاء الأجانب على حساب السكان المحليين[4]، كما جعلت الوظائف الكبرى في أيديهم، و كانت الميزانية تتجه كلها إلى مرتبات هؤلاء الموظفين مهملة كل المنشآت العمرانية و الثقافية و الصحية،و بلغ عدد الموظفين في عام 1381ه/1951م 31696 موظفا منهم 22 ألف موظفا من الفرنسيين و المتجنسين بالجنسية الفرنسية و يتقاضى الموظفون (82% من مجموع اعتمادات ميزانية ذلك العام).

---

[1] –محمد الفاضل ابن عاشور: (1909م– 1970 م) هو رجل من رجال عصر النهضة والده هو شيخ الطاهر بن عاشور العالم المفسر والناقد الأدبي الشهير الذي حثه على المزيد من البذل والعطاء ، درس في الخلدونية وتعلم مبادئ اللغة الفرنسية، عمل كمدرس في المعهد الصادقي وجامع الزيتونة، حقق عدة انجازات في الحقل الثقافي والاجتماعي بقيت قائمة الذات بعده أنظر: الزمرلي ، مرجع سابق ، ص ص 349_350.

[2] – بن عاشور ، مصدر سابق، ص ص 08 _09.

[3]- محمد الهادي شريف ، مرجع سابق ، ص 105 .

[4] – عبد القادر الخليفي، مرجع سابق، ص 34.

و قد كانت فرنسا تحث التونسيين على التجنس حتى يحصلوا على مرتبات عالية تساوي مرتبات الفرنسيين، إلا أن الصحافة و فتوى المفتي العام قضت على هذه النداءات[1].

كان العمال التونسيين يدا عاملة في المزارع و المناجم التي يسيطر عليها المستوطنون، و قد كانوا يعانون من التفرقة العنصرية و قلة الأجر الذي يتقاضونه،بالإضافة إلي انعدام الضمانات و الخدمات و النقص الغذائي.

إن معظم العمال التونسيين كانوا من أصل ريفي فأغلبية السكان كانوا يعيشون على الفلاحة، أما الفكر الذي كان سائدا هو العقلية الدينية المحافظة و القبلية، أما فيما يخص الأجر فبالرغم من أن كل منهما يقوم بنفس العمل إلا أنّ أجر العامل الفرنسي أعلى بكثير من أجر التونسي[2]، وكل من يرفض القيام بعمل التزم به يعاقب بالسجن من قبل المحكمة الزجرية إلي أن يقبل الوفاء بالتزاماته.

لقد ساد في المجتمع مظاهر الفساد و الانحلال وتدهورت الأوضاع الصحية، فأغلب المواطنين لا يجدون مستشفيات لعلاج ما يصيبهم من أمراض خطيرة، وحتى في ميدان التعليمي فقد انتشر الجهل وانطلق من نواة المجتمع وهي المرأة.

---

[1] – شاكر، مرجع سابق، ص 104.

[2] – خلف التميمي، مرجع سابق، ص ص 40– 42.

ومع تفاقم المشاكل الاجتماعية ازدياد عدد السكان و انتشرت البطالة و سيطر على الناس عقلية ساذجة تعتقد في بركة الأولياء الصالحين و شعوذة الدجالين[1].

أما اليهود في تونس فقد تعاونوا مع المستوطنين الأوروبيين و قبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية للحفاظ على امتيازاتهم و كان دورهم مساعدا للمستوطنين و لعبوا دورا سلبيا تجاه الحركة الوطنية في المغرب العربي[2]، حيث أصبحوا يسيطرون على التجارة وقطاع الخدمات، كما أصبحت دور السينما والحانات والمقاهي الأوروبية الكبرى و الفنادق الفاخرة ملكا لهم ، وبارتفاع الإستثمارات الأوروبية بتونس والحركة التجارية مع فرنسا أصبح أكبر نصيب من ثروة البلاد بين أيدي الأوروبيين واليهود.[3]

و بذلك فإن السياسة الفرنسية أنتجت تقسيما اجتماعيا عبرّ عنه "عبد العزيز الثعالبي" بالجنس الأعلى و الجنس الأسفل، فالجنس الأعلى يمثل الطبقة المسيطرة و المدللة أما الجنس الأسفل فيمثل الطبقة المغلوبة والضعيفةو المستغلة والمحرومة من جميع حقوق الكائن البشري المعترف بها ،وهي الشعب المغلوب أي العرق الأدرني ، وقد ولد هذا الوضع في الطبقة الأولى الغرور والقسوة والوقاحة واحتقار كل ما هو وطني ، وعند الثانية حركة مقاومة تتميز برفض كل ما يجئ من الأولى التي تعمل بأعصاب باردة على انحلال مجتمعها وتفكيك ميراثها الثقافي الخلقي" [4].

لقد ولد الوجود الفرنسي و الأوروبي في تونس الطبقية و التمييز العنصري فقد أصبحت الأولوية في مختلف القطاعات لهم علي حساب التونسيين و خاصة في المجال الثقافي.

---

[1] –عبد القادر الخليفي، مرجع سابق، ص ص 35– 36.

[2] – خلف التميمي، مرجع سابق، ص 42.

[3] –كانت سياسة السلطة الفرنسية في إدماج السكان الإسرائيليين مع المجموعة الأوروبية ترمي إلى زيادة عدد الأوروبيين فقد منحت منافع من جميع الأصناف (قروض ، منح تسهيلات لممارسة المهن الحرة وإنشاء مؤسسات من مختلف الأنواع ، سهولة الانتداب في القطاع الخاص ...) أنظر ، القصاب ، مرجع سابق ، ص 239 .

[4] – الثعالبي: تونس ...،مصدر سابق ، ص 269.

المبحث الرابع : ثقافيا

لقد كانت عملية الاغتصاب الاقتصادي تستند إلى مجهود يرمي إلى تحقيق الإستيلاب الثقافي وإضعاف الشخصية التونسية لأن الإستخراب يعلم قيمة اللغة و التاريخ ومدى ارتباطهما بالفكر و الذاكرة الحضارية لأي أمة.

قد نجح خير الدين في تحقيق المبادئ الإصلاحية في إنشاء المدرسة الصادقية وإصلاح التعليم بجامع الزيتونة ،حتى أصبح الشباب في تونس على اختلاف منهجه الثقافي متأثرا با المبادئ الإصلاحية[1] ، كما كان خير الدين يشرف بنفسه امتحان التلاميذ بالفرنسية و التركية في أوقات فراغه و كان يعلق أمالا كبيرة على خريجي هذه المدرسة لأنهم كانوا يمثلون بالنسبة له الإطارات الإدارية له[2].

كما قام مجموعة من الشباب الوطني ورجال الإصلاح بتأسيس جمعية الحاضرة وكان من بين رجال الإصلاح التربوي و الديني و السياسي [3]،الشيخ سالم بوحاجب"[4]، و الأديب الشاعر محمد السنوسي[5]

---

[1] – القصاب، مرجع سابق،ص 23.

[2] –ABDELMOULA MAHMOUD :LUNIVERSITI ZAYTOUNIME,ET LA SOCITE TEUNISIENNE ,TUNIS ,1971 ,PP 85-86

[3] – القصاب ، مرجع سابق ، ص 28

[4] –سالم بوحاجب(1827م–1924م) بعدما انتهى من تعليمه الابتدائي التحق بجامع الزيتونة المعمور حتى أثار إعجاب كافة أقرانه بمبادرته ومساعيه التي لا يقدر أي واحد منهم على القيام بها، وبفضل عمله الدءوب وذكائه الوقاد وإدراكه الفطري للواقع تمكن في أسرع وقت من الحصول على تقدير أساتذته أمثال الشيخ محمد الخضار إبراهيم الريا حي (أنضر:الصادق الزمر لي ،أعلام تونسيون،تحقيق:،حمادي الساحلي ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1،1986م،ص ص121 –122.

[5] - محمد السنوسي (1850م–1900م): أديب وشاعر،درس با الزيتونة تولى منصب قيادة في الحركة الوطنية التونسية من جهة وكذلك في الحركة الإسلامية السلفية ،محرر الرائد التونسي و الذي اعتبره الناس زعيم الحركة الوطنية بعد الحماية (أنضر:أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج5،دار الغرب الإسلامي ،ط1،1998م،ص492

والخطيب الصحفي البشير صفر[1]،وقد أدرك عقلاء تونس ممن أسندت لهم مهام في إدارة الشؤون البلاد عجز ثقافتهم في الميدان العلمي التطبيقي وطغيان النمط التقليدي التكراري فشرعوا في استقدام إلى تونس نماذج عن المدرسة العسكرية الأوربية[2]،وقد سبق إنشاء هذه المدرسة إصدار قانون سنة 1842م والذي نظم سير الدروس وحسن رواتب الأساتذة وفرض عليهم الدوام في عملية التدريس وجاء مرسوم سنة 1875م ليعيد النظر في البرامج الدراسية حيث نصت مادته الأولى على ضرورة التوسع إلى جانب العلوم الدينية والفلسفية[3].

وتميزت فترة أحمد باشا بالتفتح على التيارات الثقافية في أوروبا فقد تتابعت رحالات رجال الدولة إلى فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية فشاهدو ما كانت عليه هذه البلاد من نهضة وتقدم وكان لهذه الزيارة أثرها في توطيد العلاقات التونسية الفرنسية[3].

أما المدرسة الخلدونية التي تأسست بقرار وزاري سنة 1896 م كان هدفها النهوض بالعلوم العربية مثل الرياضيات والطب والعلوم وغيرها ، فأقبل عليها الشبان من طلبة جامعة الزيتونة إقبالا عظيما نظرا لشهرتها فقد كانت تظم طلبة من الجزائر والمغرب الأقصى أيضا ونتيجة لدورها فقد تخوف منها المعمرون تخوفا كبيرا [4].

لقد كانت لكل مجموعة عرقية ولغوية في أول عهد الحماية مدارسها ونظمها التعليمية حيث كان للمسلمين تعليمهم المنظم بالكتاتيب والمدارس القرآنية والمعهد الصادقي ، أما الفرنسيون فكانو ينشرون التعليم لفائدة كافة التلاميذ الحاملين للجنسية الفرنسية ،ولا يوجد في المعاهد الأوروبية إلا عدد قليل جدا من المسلمين وتتولى تنظيم التعليم الفرنسي إدارة فرنسية[5] .

---

[1] –بشير صفر(1865م–1917م):لقد ولد البشير صفر في مدينة تونس يوم 27فيفري 1865م في حين كانت مدافع المدينة تقصف ،وكان هو ثالث الأبناء الذكور الذين أنجبهم أمير اللواء مصطفى صفر المشهور بنزاهة وكفاءة وغزة نفسه حيث أصبح مدرسا بالفرع الابتدائي للصادقية وهو من مؤسسي صحيفة الحاضرة و الجمعية الخلدونية (أنظر: الصادق الزمرلي، مرجع سابق ،ص 121)

[2] – حباسي ، مقال سابق ،ص 143

[3] – نفسه ص ص 143 _ 144

[3] – الجمل ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مرجع سابق ،ص 286

[4] –عبد القادر خليفي ، مرجع سابق ، ص 26

[5] –القصاب ، مرجع سابق ، ص 293 .

ومنذ العهد الاول للحماية قامت السلطة الفرنسية بتنظيم التعليم العصري على نشر اللغة الفرنسية، فأحدثت في سنة 1883 م ادارة التعليم العمومي التي يطلق عليها التونسيون اسم " إدارة العلوم والمعارف " وهذا يعني أن سكان المسلمين بالمدن متفتحون تقليديا لتأثيرات الثقافة الاجنبية وخاصة الفرنسية[1] .

لذلك أقرت النخبة التونسية إصدار جريدة أسبوعية لنشر دعوتها الإصلاحية والتي كانت تقوم بها قبل فرض الحماية على صفحات جريدة الرائد التونسي في عهد الوزير خير الدين[2] من أجل توعية الشعب التونسي للتصدي للاستعمار الفرنسي،[3]إضافة إلى المدارس الشهيرة كانت هناك مجموعة من النوادي الأدبية والثقافية التي كانت مسرحا للمحاضرات والمناقشات ولعبت دورا مكملا للمدارس المذكورة وأسهمت في الحفاظ على الشخصية العربية التونسية والنهوض بالمستوي الثقافي للتونسيين[4].

لكن اثر انتصاب الحماية الفرنسية على تونس في 12 ماي 1881 م تم القضاء على محاولات الإصلاح التي قام بها الجنرال خير الدين وتسلط الفرنسيين على كافة المؤسسات التربية والتعليمية [5] ففي 1883 م أحدثت حكومة الحماية إدارة التعليم العمومي واستولت على جميع المؤسسات التربوية والثقافية وجعلت اللغة الفرنسية الأداة الأولى للتعليم [6]

---

[1] –نفسه ، ص 295 .

[2] –ولم يكن الإصلاح الذي تصدى له خير الدين عشوائيا لكنه كان قائما على الفهم والدراسة وتحديد الهدف المنشود ورسم السياسة للوصول إلى هذا الهدف، ولعل كتابه أقوال المسالك في معرفة أحوال الممالك الذي وضعه في عام 1867 م والذي طبع في الإسكندرية يعطي فكرة عن مبادئه التي كان يؤمنه بها ،أنظر : شوقي الجمل، المغرب العربي الحديث، مرجع سابق ، ص 296 .

[3] – الساحلي ، مرجع سابق ، ص 139 .

[4] –عبد القادر خيلفي ، مرجع سابق ، ص ص 27_28 .

[5] –ويذكر الثعالبي في هذا السياق أن سبيل المقاومة هو تأسيس ثقافة إسلامية عربية لان المدارس كانت فرنسية تعلم الفرنسيين مع أن الحكومة التونسية أنشأتها لتعليم أبناء التونسيون ، انظر : عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص 15.

[6] – الساحلي ، مرجع سابق ، ص 140 .

الفصل الثاني

شخصية عبد العزيز الثعالبي

المبحث الأول: حياته

أ - مولده

ب -نشأته

ج -رحلاته

المبحث الثاني : إنتاجه الفكري والثقافي

أ - مؤلفاته

ب -نشاطه الصحفي

المبحث الثالث : وفاته

يعتبر عبد العزيز الثعالبي من أبطال القلم والجهاد الذين ظهروا في عصر واحد في أماكن متعددة من الوطن العربي فتصدوا للحملة الاستعمارية التي اجتاحت الوطن العربي، وأثناء فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م كان عبد العزيز الثعالبي في سن السابعة صبيا صغيرا فرأي أمه تبكي، فسألها عن السبب فقالت : أما رأيت الفرنج مروا من هنا ؟ وهؤلاء لا يخرجون إلا بالحرب[1].

وقد روي حادثة أخرى أثرت فيه حيث قال " كنت في طريق قريب من بيتنا وأنا صغير حينما دخل الجيش الفرنساوي تونس فرأيت الكآبة تخيم على وجوه التونسيين فاستغربت ذلك وكنت أجهل السبب وذهبت إلى جدي فوجدته يبكي لأول مرة فقلت مندهشا لما هذا البكاء يا جدي هل ضربك أحد ؟ قال : نعم إن البلاء انصب علينا فيجب أن نرحل من هذه البلاد التي نعيش فيها، ولكنني قد بلغت من الكبر عتبا لا أستطيع أن أرحل وإني خائف وجل أن تصيروا في المستقبل فرنساويين، وكشف فأراني محل الرصاص في صدره فقلت سأضرب الذي ضربك[2] .

وقد طبعت هذه الحادثة حياته فأقسم طفلا أن ينتصر لوطنه وقد التزم بالعهد فكانت حياته جهادا مخلصا لله وحب الوطن .

وقد تناولنا في هذا الفصل شخصية عبد العزيز الثعالبي حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى مولده ونشأته و رحلاته في مختلف البلدان.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه دوره الكبير في الصحافة ومؤلفاته التي كان لها صدى كبير داخل وخارج تونس.

أما المبحث الأخير فقد تطرقنا إلى الظروف التي أبعدته عن الحياة السياسية إلى غاية وفاته سنة 1944م.

---

[1] - الثعالبي ،تونس....،مصدر سابق،ص 05.

[2] - عبد الرحيم الخليفي،مقال سابق،ص 15.

المبحث الأول: حياته

لقد اعتبر الفرنسيون عبد العزيز الثعالبي عدوهم الأول و حق لهم ذلك فمنذ أن غزا الفرنسيون بلاده التونسية و هو في السابعة من عمره لم تفارقه ذاكرته ما وعته من ذلك الاجتياح الهمجي لجيش جاء ليحتل و يقتل، و لم ينس الدموع التي غسلت لحية جده المجاهد و هو يرى الفرنسيون يحتلون تونس بعدما احتلوا بلاده الجزائر.

أ -مولده:

لقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ مولد عبد العزيز الثعالبي[1] فمنها من يقول أن م [2]و منها من يذكر انه ولد سنة 1876م [3]، و أيضا هناك من 1874تاريخ ميلاده يقول أن ميلاده سنة 1879م[4]، إلا أن التاريخ القرب للصحة هو تاريخ 1874م و ذلك لأنه يوافق 1293هـ، ولد مساء 15 من شهر شعبان سنة 1293 هـ 15 سبتمبر 1874 م[5]

---

[1] –أنظر ملحق ، الوثيقة رقم01 ص 108.

[2]–أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي رائد الحركة و النهضة الإسلامية، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان1984، ص 10.

[3] – صالح الخزفي، عبد العزيز الثعالبي من أثاره و أخباره في المشرق و المغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1995، ص 05.

[4] – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص 213.

[5] –عبد العزيز الثعالبي ، تونس .....،مصدر سابق، ص05 .

ب -نشأته:

هو عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان الثعالبي[1] القاضي المجاهد الذي هاجر إلى تونس إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة [2] 1830، و نزل في عاصمتها و استقر في حيها العريق (حي باب السويقة) حيث ولد حفيده عبد العزيز[3] لما بلغ سبع سنوات من عمره شرع في تعلم القرآن الكريم كما كان يفعل أجداده من قبل إلى أن حفظه بأكمله .

وكان جده يسهر بنفسه على تربية ملكاته الذهنية والشعورية ، وقد علمه الكرم والحلم والشرف[4] كما ورث عنه أخلاقه ومبادئه وألحقه بأحد الكتاتيب وواصل دراسته التمهيدية على يدي مدرس خاص علمه مبادئ اللغة العربية والعقيدة ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في تونس [5] .

لما بلغ 14 سنة أدخله والده إلى جامع الزيتونة [6]لمواصلة دراسته فتعلم النحو والصرف والبلاغة والمنطق وعلم الكلام والفقه والحساب والفرائض والفلك والحديث

---

[1] –**عبد الرحمان الثعالبي:** صوفي من كبار المفسرين، و أعيان الجزائر، تعلم في بجاية و تونس و مصر، زار معظم أقطار المشرق العربي ثم عاد إلى مدينة الجزائر و استقر بها و أسس بها زاوية معروفة و مسجدا مشهورا و اشتغل بالتأليف و التدريس و دفن بزاويته و قبره يزار إلى يومنا هذا. أنظر: يزير أمحمد ،عبد العزيز الثعالبي و قضايا عصره، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 1995، ص 124.

[2] – إشترك عبد الرحمان الثعالبي في قتال الفرنسيين أثناء احتلالهم للجزائر 1830م، و لما تمكن الفرنسيون من السيطرة على الجزائر عينه المارشال "بيجو" كبيرا لقضاة الشرع في الجزائر فاشتغل هذا المنصب سنتين أو اقل ثم استأذن السفر إلى تونس تاركا بيته و أملاكه و فضل الإقامة في العزلة على الولاء لفرنسا .أنظر : أنور الجندي، مرجع سابق، ص 9_10 .

[3]– الجندي ، نفسه، ص 10.

[4] –عبد العزيز الثعالبي ، سقوط الدولة الأمية وقيام الدولة العباسية 132 هـ / 750 ميلادي، تحقيق و تقديم: حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1995 م ، ص ص 23 – 24 .

[5] –البشير الفورتي ، أعلام النهضة الأدبية ، دار الكتب العربية ، تونس 1952 ص 42 .

[6] –جامع الزيتونة : لقد كانت القيروان هي العاصمة الحضارية الأولى في المغرب العربي ومنذ القرن الخامس الهجري انتقل مركز الإشعاع الفكري إلى جامع الزيتونة الذي أصبح منذ ذلك التاريخ مقصد طلاب العلم والمعرفة ومن اشهر العلماء الذين تخرجو منه ابن خلدون ، الإمام بن عرفة . أنظر : عبد الله ، مرجع سابق ، ص 219 .

وعلم التصوف ، وقد كان مهتما منذ صغره بالتفكير في أمراض العالم الإسلامي المشتت والبحث في وسائل علاجها [1] .

وقد اختلف المؤرخون في الدرجة العلمية التي بلغها فيذكر بعضهم انه حصل على شهادة "التطويع"[2] سنة 1896 وأنه أول من درس في الزيتونة " العلوم العربية والفقهية والنقلية والعقلية ... " ويذكر آخرون أنه انقطع عن الدراسة في الزيتونة قبل حصوله على التطويع ، كما يذكر احدهم مما أرخو له انه منح شهادة التطويع لكنها سحبت منه بسبب انتقاده لكتب التدريس ودروس مشايخه ، والإكثار من أسئلتهم والاعتراض عليهم [3] .

كان جامع الزيتونة آنذاك يشكوا من أزمة تمس هيكلته الداخلية ومضمون البرامج المدرسة فيه وطبيعة التكوين التي يتحصل الطلاب عليه إضافة إلى عدم تأقلمه مع متطلبات التطور والحداثة التي نمت بفعل التأثير الثقافي والحضاري الفرنسي في البلاد[4].

ويبدو انه لم يكن راضيا عن التكوين الديني التقليدي الذي تلقاه في الزيتونة فالتحق "بالمدرسة الخلدونية"[5] ، وبعد تخرجه اشتغل أستاذا بالمدرسة القرآنية بسوسة لأنه كان يتميز من حداثة سنه بالذكاء والاندفاع وبغزارة المعرفة والإشعاع [6] ، حيث أحاطت به هالة من أهل العلم والأدب وأصبحت ألزم له من ظله و تجلت ريادته في فكره التنويري ومجهوداته الفريدة لإبراز الصورة الناصعة للإسلام [7].

---

[1] –الثعالبي ،سقوط ... مصدر سابق ، ص 24 .

[2] – التطويع : هي شهادة التي تختم بها الدراسة قبل أحداث نظام شهادة التحصيل سنة 1933 م . أنظر : عبد العزيز الثعالبي ، روح التحرر في القران ، تحقيق : حمادي الساحلي ، ط 1، بيروت 1985 م ، ص 05 .

[3] – عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص 18 .

[4] – زهيرالذوادي ، الوطنية وهاجس التاريخ في الفكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة تونس 1989 م ، ص 06 .

[5] – المدرسة الخلدونية : في سنة 1896 م دعي زعيم الحركة الإصلاحية الثاني بشير صفر إلى تكون جمعية سميت بالمدرسة الخلدونية وكان الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة طلبة هذا الجامع على تحسين مستواهم التعليمي، ولعبت دورا وطنيا عظيما في نشر العلم والثقافة . ، انظر : عبد الله ، مرجع سابق ، ص 33 .

[6] – الثعالبي ، تونس ...، مصدر سابق ، ص 09 .

[7] – عبد الله ، مرجع سابق ، ص 54 .

ج- رحلاته:

إن أول رحلة للثعالبي كانت إلى الجزائر سنة 1895م، وقد دامت شهرين حيث زار سوق أهراس وعنابة وسكيكدة وقسنطينة وسطيف وعاصمة الجزائر، وبعد عودته أصدر جريدة سبيل الرشاد[1] في 16 ديسمبر 1896م لكن الحكومة الفرنسية قامت بإغلاق هذه الجريدة مدة شهرين كما اتهمت محرريها بالتطرف. [2]

لذلك قرر "عبد العزيز الثعالبي" الهجرة إلى الشرق لينشر الدعاية للقضية التونسية، و ذلك بعد أن أغلقت سلطات الاحتلال صحيفة "**سبيل الرشاد**" التي أصدرها سنة 1896م، غير أن الحكومة الفرنسية منعته من السفر، من خلال تعجيزه بطلب الضمانات الباهضة، و التأشير على طلباته بالحفظ و بأن سيرته غير حميدة[3] فاضطر إلى الفرار برا إلى طرابلس الغرب التي كانت لا تزال تابعة للدولة العثمانية[4].

فتدخل القنصل الفرنسي و منعه من البقاء فيها ثم انتقل إلى بنغازي وقوبل فيها قبولا حسنا أنساه الأيام التي قضاها في طرابلس ، وقد أقام في بنغازي شهرين ثم تحول إلى اليونان وأقام في عاصمتها (أثينا) 15 يوما ثم غادرها متوجها إلى الأستانة التي أقام بها سنة كاملة ، وقد اطلع على الشؤون العامة هناك وألتقي بأهم رجالها فقد كانت الأستانة في تلك الفترة المركز الرئيسي للسياسة فتعرف على شخصيات متنوعة تركية وعربية وهندية ومصرية ، وألم بقضايا الشرق السياسية،

---

[1] -**سبيل الرشاد:** أصدرها الشيخ عبد العزيز الثعالبي سنة 1826، فعاشت عاما واحدا ثم أوقفتها الحكومة الفرنسية بسبب أفكارها الإصلاحية الإسلامية.أنظر: عبد الله، مرجع سابق، ص 33.

[2] – الثعالبي، سقوط ...، مصدر سابق ، ص 26 .

[3] -الخرفي، مرجع سابق، ص 62 .

[4] -عبد الرحيم الخليفي، مقال سابق، ص 20.

.وكان من حسن حظه أن اتصل "بأبو الهدى الصيادي" [1]

و هو شيخ مشايخ الباب العالي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[2]، و أدرك الصيادي قيمة الثعالبي فاقترح عليه منصبا رفيعا، لكن الشيخ الثعالبي رفضه، كما عرضت عليه مديرية الأوقاف بالحجاز منصب قاضي بيروت لكنه رفض ذلك ، لأنه لم يكمل تكوينه بعد و لا يزال ضمانا لملاقاة الرجال و التعرف على البلدان[3]، وأقام الثعالبي هناك متمتعا بمودة واحترام كافة أصدقائه ومن تعرف عليهم أثناء إقامته هناك .

و قد التقى بالسلطان عبد الحميد الثاني، و جمال الدين الأفغاني[4] و حسن حسن الطويراني[5] و غيرهم.

---

[1] – أبو الهدى الصيادي: (1809–1909) درس في مسقط رأسه على يد بعض الشيوخ الكتاب القران و القراءة و الكتابة تولى نقابة الأشراف، قلده السلطان عبد الحميد الثاني مشيخه الإسلام بالأستانة، عند توليه الحكم عام 1876 لع عدة مؤلفات منها: داعي الرشاد لسبيل الاتحاد و الانقياد، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار.أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798–1939م) ،دار النهار للنشر، بيروت، ص 136.

[2] –**عبد الحميد الثاني:** ولد عبد الحميد الثاني عام 1842م و هو ابن السلطان عبد المجيد تعلم اللغتين العربية و الفارسية، بويع بالخلافة بعد أخيه مراد الخامس حيث كان عمره 34 سنة و كانت هذه المبايعة سنة 1876م، لكنه خلع بانقلاب 1909م، يعتبر السلطان 34 من سلاطين الدولة العثمانية

– أنظر: السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية (1891–1908)، مؤسسة الرسالة بيروت، شارع سورية (ط 1 1397هـ/1977)، ص 11.

[3] – الثعالبي، سقوط الدولة ...، مصدر سابق، ص27

[4] –جمال الدين ألأفغاني: (1839–1897) أول زعيم من زعماء الحركات الإسلامية، دعا إلى الوحدة الإسلامية و إلى التعاون بين الزعماء الدينيين و السياسيين، كما دعا إلى تحرير الفكر الديني من قيود التقليد الباعث على الجمود.

– أنظر: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار للنشر، ش.م.لن بيروت، لبنان، ص 137–138.

[5] –حسن حسني الطويراني: ولد في مصر و توفي في اسطنبول تعود أصوله إلى توبران إحدى مدن اليونان حاليا، قضى حياته في مصر و تركيا و كان رحالة بين العديد من المدن الإفريقية و الأسيوية أنشأ عدة صحف و مجلات. أنظر:خير الدين الزركلي، الاعلام ،دار العلم للملايين ، بيروت،1990 ص 209.

في سنة 1897 انتقل الثعالبي إلى القاهرة و تمكن من توطيد علاقاته بأعلام الفكر العربي و الإسلامي الحديث و في مقدمتهم محمد عبده[1] و رشيد رضا[2].

و قد وجد بينهم المحبة و التبجيل، و كتب مقالة في جريدة الموسوعات تحت عنوان "الاتحاد و الدين و مستقبل الإسلام" (09 يوليو 1317 هـ – 1899م) ، حيث حرر فصلا بإمضاء" الفاتح المغربي " وتطرق فيه إلى الداء الذي ينخر جسم العالم الإسلامي ودوائه ، مقترحا عقد مؤتمر إسلامي عام للبحث عن معالجة أحوال المسلمين المعنوية والمادية والسياسية[3]

و قد كانت القاهرة بالنسبة لشيخ الثعالبي نقطة الانطلاق إلى العالم فمنها زار اسطنبول، الأناضول، العراق، سوريا، النمسا، ايطاليا و الخرطوم[4] ، وأثناء إقامته في مصر كان يقضي معظم أوقاته في متابعة دروس جامع الأزهر منها دروس الفلسفة والتفسير والحديث الشريف واللغة[5] .

عاد عبد العزيز الثعالبي إلى تونس سنة 1902م و هو غريب الشكل و النزعة و المنطق، و القلم يتكلم

---

[1] – محمد عبده: (1849–1905)، رائد من رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، كان من أهدافه تحرير الفكر قيد لتقليد و إصلاح أساليب اللغة العربية، اهتم بالتعليم الديني في مدارس المملكة العثمانية تعلم الفرنسية و اطلع على الفكر الأوربي. – أنظر: ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص ص 163،168

[2] – رضا رشيد الكواكبي : (1865 – 1935) مؤرخ أديب من مواليد طرابلس الشرق في لبنان ، تعلم العلوم الإسلامية أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد ، انتخب رئيسا للمؤتمر السوري وعضوا بالجمع العلمي العربي بدمشق غادر سوريا بعد دخول المستعمر الفرنسي إليه متوجها إلى مصر حيث توفي فجأة في القاهرة من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم ، الوهابية والحجاز ...أنظر : نفسه ، ص 268 .

[3] – الثعابي : سقوط ... ، مصدر سابق ، ص ص 27 – 28

[4] – مير البصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، ط1، دار الحكمة، لندن 1999م ، ص 12 .

[5] – الثعابي : سقوط ... ، مصدر سابق ، ص 29 .

بأفكار الأفغاني و محمد عبده و يعجب بعبد الرحمان الكواكبي[1] و يدعوا إلى التطور و الحرية و فهم أسرار الدين و الوجود[2].

لم يغفر له المحافظون من شيوخ الزيتونة و علمائها نقده لأفكارهم ووصفه لهم في احد مقالاته التي نشرتها مجلة "المنار" المصرية "**بأنهم جاهلون، متكبرون، متغابنون و هم آلهتنا حديثهم بطونهم، و تدقيقاتهم و مباحثهم خاصة بعجائب النكايا و كرامات القبور، و علمهم كعلم آلهة الآشوريين لا يزيد و لا ينقص و لا يتجدد و لا ينعدم و هو محصور في تصريف أكل يأكل أكلا**"[3]

ثم عاود السفر سنة 1903 فمن تونس توجه إلى الجزائر، ثم إلى المغرب الأقصى و حاول إصدار جريدتين واحدة في المغرب و الأخرى في الجزائر، بهدف نشر الأفكار التنويرية.

و في 19 ديسمبر 1903 وجه الثعالبي خطابا إلى الكاتب العام بالدولة التونسية الفرنسي (م . روا) جاء فيه: "**سافرت إلى الجزائر و منها أبحرت إلى مملكة المغرب الأقصى و عزمت على إبداء مقاصدي في نشر جريدة عربية**"[4].

---

[1] – عبد الرحمان الكواكبي: (1268–1320هـ)– (1848–1902م)، من بيت حلب ، أسرته من نقابة الأشراف في حال تعلم في مدرسة بحلب "المدرسة الكواكبية"، درس العلوم الرياضية و الطبيعية و اللغة الفارسية و التركية، تنوعت أعماله و اعتلى عدة مناصب، زار العديد من البلدان و درس حال المسلمين، و قد كان زعيما من زعماء الحركات الإسلامية. أنظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، كلمات عربية للترجمة و النشر، ص 69–70.

[2] – عبد الرحيم الخليفي، مرجع سابق، ص 20.

[3] – نفسه، ص 23.

[4] – الخرفي، مرجع سابق، ص ص62،65

لكن الثعالبي لم يتلق ردا من الكاتب العام على هذا المشروع فعاد إلى تونس سنة 1904م و قد حاول مرة أخرى إكمال مشروعه لكن دون جدوى[1].

في هذه الفترة كان الناس يلتقطون من كلامه سقطات في مسائل الخلاف بين الصحافة و الأولياء و الكرامات و يشيعونها على وجهها أو على غير وجهها، حتى بلغ الخبر أسماع كبار الشيوخ الناقمين على التطور، وعلى الثعالبي خاصة بعد المقال الذي كتبه في جريدة "المنار"، فعندما دخل هذا العدد إلى تونس، راج بين الناس لذلك رأى فيه هؤلاء المحافظين إهانة للعلماء[2].

كما أن الإدارة الفرنسية رأت أن ما يدعو إليه الثعالبي من تعليم و إرشاد يتناقض ما يهدفون إليه، فواجه مقاومة شديدة من الحكومة التونسية و السلطة الفرنسية و قد لفقت ضده العديد من الاتهامات الكاذبة، فقبض عليه و حكم عليه بالسجن مدة شهرين يوم 1904/07/23م[3].

أثناء انضمام عبد العزيز الثعالبي لحركة الشباب التونسي التي تأسست سنة 1907م برئاسة "على باش حانبة " [4]، حشد الثعالبي وجماعته جهودهم من أجل الدفاع على العديد من القضايا والحوادث وقد أغضب ذلك السلطة الفرنسية فألقت القبض على عبد العزيز الثعالبي وعلى باش حانبة وآخرون وأخرجتهم من البلاد سنة 1912 م [5] .

---

[1] – نفسه، ص 62.

[2] – عبد الرحيم الخليفي، مقال سابق، ص 22.

[3] – الجندي، مرجع سابق، ص 16–17.

[4] – **علي باش حانبة:** (1876–1918)، ينحدر من أسرة تركية الأصل من سكان الأناضول، درس في الصادقية تفرغ لخدمة قضية بلاده أنشأ جمعية قدماء المدرسة الصادقية، أصدر جريدة التونسي كان من قادة حركة الشباب التونسي (1906–1912)، ثم نفي إلى تركيا إلى أن توفي. أنظر: الصادق الزمرلي، مرجع سابق، ص 141.

[5] –الجندي ، مرجع سابق ، ص 19 .

تحول عبد العزيز الثعالبي إلى فرنسا مع صديقه علي باش حانبة ثم ذهب إلى الأستانة على متن قطار الشرق السريع ، وأثناء رحلته زار أغلب العواصم الأوروبية ووسع دائرة معارفه ، كما ذهب إلى تركيا ثم مصر و بورسعيد ومن هناك ذهب إلى عدن عن طريق البحر وزار اليمن كما توجه إلى جزيرة سيلان (سيريلانكا حاليا) وأقام بضعة أيام بعاصمتها (كلومبو) [1].

ثم زار سنغفورة وجاوة والهند وفي هذا البلد الأخير رأي مسلميها يولون أهمية كبرى لرفع راية الإسلام ،وأثناء مغادرته أقيمت له حفلت وداع القي خلالها خطبة شرح من خلالها أحوال العالم الإسلامي ومستقبل الوحدة الإسلامية ، واتفق مع أغلب الشخصيات هناك على إقامة مؤتمر إسلامي يجمع الدول الإسلامية كافة ، لأن الشيخ الثعالبي يري أن "الأمم لا تسود ولا ترقي ولا تسعد ولا تشقي ، إلا بمقدار بعدها وقربها من دينها ، فالقرب من الدين محك العزائم ولولا الديانات ماتباينت الأفكار ولا تبارت الشعوب في إنشاء المقذوفات ولا تمادت الأفهام في اختراع المدمرات ، وخصوصا في هذا العصر الذي تقوت فيه أوروبا المسيحية "[2] ، عاد إلى تونس سنة 1914 م .

وفي 1919 م سافر إلى باريس من أجل المشاركة في مؤتمر الصلح وقدم مذكرة تتعلق باستقلال تونس كما نشر كتابه تونس الشهيدة الذي فضح فيه دسائس الاستعمار

---

[1] – الثعالبي ، سقوط ... ،مصدر سابق ، ص 35.

[2] –عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص 40 .

فاعتقلته السلطات الاستعمارية وأرجعته إلى تونس واعتقل مدة تسعة أشهر [1]

وفي سنة 1923 م رحل إلى المشرق ومكث 14 سنة دون انقطاع بسبب ضغوط المقيم العام الفرنسي لوسيان سان[2] الذي أراد أن يضع له حدا لنشاطه الوطني على رأس الحزب الحر الدستوري التونسي الذي أسسه[3] .

وذهب إلى ايطاليا ومنها إلى اليونان وتركيا ثم مصر والحجاز وقصد المحميات العربية[4] ثم ذهب إلى عدن وبداية الرحلة اليمنية، وبعدها تحول إلى بغداد حيث أقام فيها ودرس بجامعة أهل البيت من 1925 م إلى 1931 م، كما سافر إلى القاهرة لحضور المؤتمر الإسلامي المقرر عقده بالقدس الشريف وفي عام 1932 م غادرها إلى الهند وفي طريقه إلى الصين علم بالانشقاق الذي حصل في صفوف الحزب الحر الدستوري التونسي فقطع رحلته من أجل العودة إلى تونس لكن سفارة فرنسا بالقاهرة منعته من العودة في سنة 1936 م ودام ذلك حتى 09 جويلية 1937 م[5].

---

[1] –عبد الله ، مرجع سابق ، ص 54 .

[2] – لوسيان سان :عين مقيم عاما في تونس سنة 1921 م لم تعرف تونس أخطر منه في الدهاء والمكر قام بالعديد من الإصلاحات وفق مخطط استعماري لكي يتسنى إغراق تونس بالجاليات الأوروبية وهيأ خطة ذكية لم تنخدع إلا قلة قليلة قبلت التعاون معه مما سبب انشقاق في حزب الدستوري الحر . أنظر : نفسه ص 12 .

[3] – عبد العزيز الثعالبي ، الرحلة اليمنية ،تحقيق وتقديم حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997 ، ص 14 – 15 .

[4] – الجندي ، مرجع سابق ، ص 28 .

[5] – الثعالبي ، الرحلة... ، مصدر سابق ، ص ص 14 – 15

المبحث الثاني: إنتاجه الفكري و الثقافي

أ- مؤلفاته:

- **"كتاب محاضرات في التفكير الإسلامي"**

يتكون هذا الكتاب من مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الشيخ عبد العزيز الثعالبي المصلح التونسي الشهير من 1926 إلى 1930 في بغداد[1] بجامعة "آل البيت" حيث كان مكلفا بتدريس الفلسفة الإسلامية و حكمة التشريع في الشعبة الدينية العالية، و الجدير بالذكر أن المجموعة الأولى من تلك المحاضرات قد نشرتها الجامعة الصادرة من جامعة آل البيت ثم أعادت نشرها "الجامعة".

ثم أعاد نشرها في سنة 1985 دار الغرب الإسلامي ببيروت في كتاب مستقل بذاته يحمل عنوان "محاضرات في تاريخ المذاهب و الأديان"، و من الجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن هذه المحاضرات التي تحمل عنوانا عاما و هو "الفلسفة الإسلامية" لم يقتصر صاحبها على البحث في هذا الموضوع دون سواه بل تطرق إلى كثير من المواضيع الأخرى دون أي ترتيب مثل الفقه، التوحيد التفسير، السيرة النبوية، التشريع الإسلامي، مقاصد الشريعة و علم الكلام...الخ.

مما جعل محقق الكتاب يعنونه بعنوان اشمل و اعم و هو **محاضرات في التفكير الإسلامي و الفلسفة** حتى يكون امتداد للكتاب السابق "محاضرات في التاريخ المذاهب و الأديان".

---

[1] – بعدما وصل الثعالبي إلى بغداد حيث استقدمه صديقه فهمي المدرس أمين جامعة آل البيت، فوصل علاقته بالملك، فيصل الأول و عينه أستاذا محاضرات في الجامعة الشعبية الدينية لتدريس الفلسفة الإسلامية و حكمة التشريع و جامعة آل البيت كناية عن معهد فقهي .

– أنظر: عبد العزيز الثعالبي، الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه و سلم، صالح الخرفي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص 07.

كما قام المؤلف بتقسيم ما جاء فيه من مادة علمية إلى 8 أبواب و أعط لكل باب عنوانا مناسبا للمقام حيث انه لم يكن موجودا في النص الأصلي، مع المحافظة على عناوين الفصول و العناوين الفرعية نذكر منها:

1 منزلة الأمة الإسلامية بين الأمم.

2 العقائد.

3 مراتب الإيمان.

4 الحكمة في أركان التصديق.

5 حكمة التشريع الإسلامي.

6 تاريخ الفرق الإسلامية (الخوارج و المرجئة و الشيعة).

7 مباحث في الفلسفة و علم الكلام.

كما أن عبد العزيز الثعالبي كعادته لم يشر إلى المصادر و المراجع التي اعتمدها في بحوثه مقتصرا على ذكر بعض رواة الحديث من الصحابة و التابعين كما لمح في الفصول المتعلقة بالفرق الإسلامية إلى صاحب كتاب الملل و النحل إليه بقوله "**قال الإمام الشهر ستاني**" دون ذكر عنوان الكتاب.

بصريح العبارة و قد نقل منه فقرات مطولة نبهنا إليها في الهوامش إلا انه كثيرا ما كان يعلق عليها و يردفها بالملاحظات و تدقيقات وجبهة تدل على الإلمام بالموضوع و دراية بالنظريات و المذاهب و الفلسفة و الفقه[1].

كتاب تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية

قام بتقديم و تحقيق هذا الكتاب حمادي الساحلي و يحتوي على أربع أبواب:

الباب الأول الفتح العربي لشمال إفريقيا أي الفتوحات الإسلامية الأولى، و يتحدث فيه عن عمر بن العاص و عبد الله بن أبي سرح لفتح افريقية و كذلك فتوحات عقبة بن

---

[1] – الثعالبي، محاضرات في التفكير الإسلامي و الفلسفة، تقديم حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999، ص ص 05،08.

نافع و يتحدث أيضا عن المشاكل السياسية والاجتماعية في المشرق لولاية حسان بن نعمان[1].

و يحتوي الباب الثاني على عصر الولاة، ولاية موسى بن صير و السياسة التي اتبعها موسى برد الممتلكات التي كانت لها في عهد الفينيقيين ارتباك أحوال الدولة المروانية الدولة الأموية في عهد سليمان بن عبد الملك و كذلك صراع البربر و العرب و كذلك المغرب الإسلامي بعد قيام الدولة العباسية.

أما الباب الثالث خصص لدولة الأغلبية تحدث فيها عن الدولة الأغلبية، و ظهور النظام اللامركزي في دولة بني العباس.

أما الباب الرابع خصص لدعوة الشيعة في المشرق و المغرب يتحدث عن الدعوة الشيعية في افريقية و كذلك يحتوي على انتشار الدعوة الشيعية في المغرب و المشرق و يحتوي على 345 صفحة[2].

كتاب تونس الشهيدة، مطالبها:

سافر عبد العزيز الثعالبي إلى فرنسا من أجل المشاركة في مؤتمر الصلح بفرنسا من أجل التعريف بالقضية التونسية رفقة زميله "**أحمد ساقا**"[3] حينئذ قام بتأليف كتاب "**تونس الشهيدة**" الذي يهدف إلى فضح الجرائم التي تقوم بها فرنسا في ظل الحماية و كذلك الأوضاع المرتدية التي كان يعيشها الشعب التونسي حيث قام احمد ساقا بنقل هذا الكتاب من العربية إلى الفرنسية لكون الثعالبي لا يجيد اللغة الفرنسية و لا يستطيع إتقانها،

---

[1] – عبد العزيز الثعالبي ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، جمع وتحقيق : أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس ،تحقيق : حمادي الساحلي ،ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1990م ، ص ص 27 ، 66.

[2] – نفسه ، ص ص 199 ،335 .

[3] – أحمد ساقا: متحصل على الدكتوراه في الحقوق إلى باريس (أفريل 1919) و يعتبر أول مبعوث للحزب التونسي إلى فرنسا، و قد تمكن من الاتصال بالصحف و بعض الأوساط ... لاسيما الحزب الاشتراكي الذي اعتزم عرض القضية التونسية على مجلس النواب، و قد هيأ الساقا الأرضية إلى أن التحق به الشيخ عبد العزيز الثعالبي خلال شهر جويلية 1919م .انظر:شاطر وآخرون، مرجع سابق ،ص 86.

و قد أثار هذا الكتاب سخط الاحتلال الفرنسي و أعداء الثعالبي من التونسيين أنفسهم، حيث نشر باللغة العربية لأول مرة سنة 1975 و ترجمه و قدمه "سامي الجندي" حيث طبع هذا الكتاب بمطبعة "جون و شركاؤه" و قام بنشره و توزيعه في فرنسا و خارجها بمجرد صدورها عام 29 ديسمبر 1919م حيث تم إرسال نسخ منه إلى كبار رجال الفكر و الأدب في العديد من الدول الأوربية و أمريكا و الهند و كما انتشر في شمال إفريقيا ، تونس و الجزائر.

يحتوي هذا الكتاب على 14 فصلا و خاتمة و كان أهمها عرض واقع تونس و تدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الزراعية و كذلك الدفاع عن اللغة العربية و كذا شرح للشعب الفرنسي للنظام الذي تمليه علينا حكومته منذ 40 عاما[1].

كتاب روح التحرر في القرآن

بعد انتهاء محاكمة عبد العزيز الثعالبي و خروجه سنة 1904 قرر تأليف كتاب يرد فيه على خصومة من رجال الدين المضادين لمنهج التطور و تضمن أهمية التضامن الإسلامي، في زمن هيمن فيه الاستعمار و طغى و تمكن على الشعوب الإسلامية فاستعمرها و استغلها على كل الأصعدة ألف كتاب "**روح التحرر في القرآن**" حيث صدر باللغة الفرنسية بباريس إلا أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي لم يكن ممن يجيدون الفرنسية مما اضطره إلى الاعتماد على صديقه المحامي "سيزار بن عطار"

و يثير كتاب روح التحرر في القران عدة إشكاليات تتعلق بعنوان الكتاب بذاته، و لقد أثار فينا عنوان الكتاب مجموعة من الاستفهامات إذن ما المقصود بالروح و ما يعني بالتحرر؟، و ما دلالة حضور القرآن في الكتاب؟

يبدو أن المصطلح "الروح" ينفتح على فضائين ثقافيين مختلفين و يمس ذاكرتين دينيين الذاكرة الإسلامية التي اهتمت بالروح اهتماما مخصوصا ووسعت المعاجم فشملت الفرح و القران و النفس و الوحي و الذاكرة المسيحية التي اهتمت بدورها بهذا الاصطلاح و

---

[1] – الثعالبي، تونس ...مصدر سابق،ص ص 50، 120

لعل الثعالبي أراد من خلال هذا التوظيف الاصطلاحي أن يحقق التواصل بين المنظومتين.

أما المقصود بالتحرر و هو وجود المسلمين في وضع نقيض وضع عبودية و استعباد.

و التركيز على القران لان مشكلة المسلمين الأساسية و خلافهم يتعلق بمسألة تأويل النص.

، و لقد رجح حمادي l'esprit libéral du coran او عنوان الكتاب باللغة الفرنسية الساحلي أن يكون الشيخ الثعالبي حرر النص العربي للكتاب و نقله إلى الفرنسية الهادي سبيعي[1] و أعاد صياغة النص الفرنسي سيزار بن عطار( ).

حيث تضمن الكتاب آراء الثعالبي الإصلاحية في جميع الأفكار التي كانت موضع نقاش في ذلك الوقت كتحرير المرأة المسلمة ،الطرق الصوفية ،و البدع المرتبطة بها حيث دعا المؤلف إلى الرجوع إلى الدين الإسلامي النقي المنزه عن الخطأ، حيث كان الكتاب أورد في الطبعة الفرنسية مجموعة من المقالات رتبها ترتيبا عاديا، من واحد إلى 22 في حين اجتهد معرب الكتاب فوضع هذه الأقسام ضمن فصول خص كل واحد بعنوان اختاره له"[1].

الرسالة المحمدية من نزول الوحي إلى وفاته صلى الله عليه و سلم

قام بتأليفه عبد العزيز الثعالبي و تم تحقيقه من قبل صالح الخرفي.

يوم ألف الثعالبي هذه السيرة حيث كان في دار الغربة و الاغتراب في بغداد محاضرا في جامعة آل البيت في أواسط العشرينات إلا أن كتب الله لهذه المخطوطات أن ترى النور في أواسط التسعينات[2] ، و من أصفياء الثعالبي المقربين إليه الأوفياء له الحافظين لإرثه المرحوم محمد الحبيب شبلي كاتم سره و صاحب الفضل في الحفاظ على مخطوطه البعثة المحمدية التي تؤلف هذا الكتاب[3].

---

[1] – الثعالبي، روح التحرر...، مصدر سابق ، ص ص 05 ،240 .

[2] – الثعالبي ، الرسالة المحمدية ...، مصدر سابق، ص 07 .

[3] – نفسه ، ص 09 .

و من المخطوطات هذا الكتاب نجد سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و أن هذه المخطوطات هي الصيغة الأولى للجزء الذي نشره الثعالبي في حياته سنة 1938 بعنوان " معجز محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و يتضح لنا من هذه المخطوطات أن الثعالبي في السنوات الأخيرة لإقامته في بغداد تلك السنوات الممتدة من 1926 إلى 1930 بعد إغلاق جامعة آل البيت.

و يتحدث الكتاب كذلك عن كتاب آخر كتاب "حياة محمد" الدكتور هيكل لأنه من أوسع الكتب انتشارا في السيرة النبوية[1].

كما يحتوي الكتاب كذلك على الفهارس العامة منها فهرس الآيات الكريمة و فهرس الأعلام فهرس الآثار و الأحاديث النبوية يحتوي على 744 صفحة و في الأخير بطاقة تعريف صالح الخرفي[2]

كتاب الرحلة اليمنية:

من بين مخلفات المغفور له الشيخ عبد العزيز الثعالبي التي احتفظ بها المرحوم الدكتور "أحمد بن ميلاد"[3] طوال أكثر من نصف قرن يوجد ملف يحمل عنوان **الرحلة اليمنية** و يحتوي على الوثائق التالية:

1 -وجود رسالة بتاريخ 11 أكتوبر 1924 في شكل مسودة كان قد وجهها الثعالبي إلى صديقه المرحوم محمد منصف المنشستر عضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري عضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري، يصف له فيها مراحل الرحلة التي قام بها في اليمن من 12 أوت إلى 17 لأكتوبر 1924 و تقع في 58 صفحة من الحجم الكبير.

---

[1] – نفسه ، ص 23 .

[2] – نفسه ، ص ص 24 ،620 .

[3] – **أحمد بن ميلاد:** يعود إليه الفضل في الحفاظ طيلة نصف قرن على الإرث الفكري و العلمي للشيخ عبد العزيز الثعالبي و كانت له عدة مؤلفات منها: خلفيات المؤتمر الإسلامي لعبد العزيز الثعالبي و كذلك الشيخ عبد العزيز الثعالبي و الحركة الوطنية 1892–1940 توفي في نوفمبر 1994– أنظر: كتاب الخرفي ، مرجع سابق، ص 7.

2 -مجموعة من الوثائق التي بث لها الثعالبي خلال هذه الرحلة لدى الإمام يحي و قادة المحميات البريطانية التابعة لمستعمرة عدت لتوحيد البلاد اليمنية.

3 -وثائق أخرى تتعلق بالمهمة التي قام به المؤلف سنة 1926 في الحجاز و اليمن لتحقيق المصالحة بين السلطات نجد الحجاز، عبد العزيز بن سعود[1] و إمام اليمن "يحي محمد حميد الدين"[2].

4 -تقرير عن الزيارة التي أداها نفس الشخص إلى عدن من 29 نوفمبر إلى 06 ديسمبر 19 في طريقه إلى الهند.

5 -خصوص الرسائل المتبادلة حول القضية اليمنية بين الشيخ عبد العزيز الثعالبي بين المسؤولين و الوطنيين اليمنيين و العدنيين و بعض الشخصيات العربية، أمثال الأمير "شكيب أرسلان"[3] و المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر و الزعيم السوري أحمد مريود مما لاشك فيه أن أهم قسم من الكتاب يتمثل في الرحلة إلى اليمن التي وصف المؤلف مراحلها بالتفاصيل على غرار الرحالة العرب السابقين أمثال بن رشد و العبدوي و ابن جبير و ابن بطوطة و المناظر الطبيعية التي شاهدها و المغامرات التي واجهها.

و تحتوي هذه الوثائق على عناصر أخرى و إعداد لمحة تاريخية و جغرافية عن اليمن و تقديم نبذة عن الوضع الدولي في اشرف الأوسط و الخليج العربي اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى.

---

[1] – عبد العزيز بن سعود: لقد أعرب ابن سعود عن رغبة في عقد علاقات مع بريطانيا سنة 1911م حين التقي با الكابتن شكسبير الوكيل السياسي البريطاني لكن الحكومة البريطانية لم تهتم با طلبه.انظر:مير البصري،مرجع سابق،ص 161.

[2] – الإمام يحي: و لد في صنعاء في 1869م كان الإمام السابع و الستين في اليمن، تفقه في أمور الدين و شارك أباه في حروبه، و كانت له البيعة في قفلة عذر شمال صنعاء ووقعت في تلك السنة مجاعة عظيمة.– أنظر: البصري، نفسه، ص 167.

[3] – شكيب أرسلان: هو كاتب و مجاهد نعت "بأمير البيان" كان في مبتدأ حياته شاغرا موظفا إداريا و نائبا في مجلس النواب التركي ثم أقام في جنيف نحو ربع قرن يدافع عن حقوق العرب و حرياتهم، ولد شكيب بن حمود بن حسن بن يونس في شويفات في 25 ديسمبر 1869. نفسه، ص 217.

و يحتوي الكتاب على مجموعة من الفصول نذكر منها الثورة العربية الكبرى، اتفاقية سايس بيكو، و قضية الخلافة و كذلك نبذة من تاريخ اليمن في عهد الإسلام.
و كان هدف عبد العزيز الثعالبي من هذه الرحلة و في 1990م أعلن عن تحقيق الوحدة بين الجمهورية اليمنية الديمقراطية و الشعبية أو اليمن الجنوبي باعتبارها دولة واحدة.
[1]كما يحتوي على مجموعة من المخطوطات و الخرائط[1]

ج- نشاطه الصحفي:

لقد كان لعبد العزيز الثعالبي دورا كبيرا في الميدان الصحفي حيث كانت بدايته الصحفية بنشر مقالات في الجرائد الدولية و كان هدفه هو بث الوعي و الدعوة إلى تحقيق التحرر و التعريف بالقضية التونسية في المحافل الدولية.
كان الثعالبي طموحا له الرغبة في تغيير الواقع المتردي الذي تشهده الأمة بسبب التخريب الفرنسي ، وكان يري أن القلم لا يقل حدة عن السيف ، فبدأ بنشر أفكاره النهضوية والتنويرية المتحررة[2] كتب عبد العزيز الثعالبي في الصحف المحلية داعيا إلى الاستقلال و الحرية منها: المبشر و المنتظر[3].

---

[1] – الثعالبي، الرحلة ...، ص ص 22 ، 238 .

[2]– عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص 18 .

[3]– الجندي ، مرجع سابق ، ص 11 .

كما كان يقوم بتحرير بعض الفصول المطولة والحماسية ويوجهها إلى بعض الصحف المصرية مثل "النيل" و"المقياس" و"الفيوم" و"المؤيد" بإمضاءات مختلفة لإخفاء اسمه قصد اجتناب الشهرة الشيء كان يمقته ويكره من يسعي إليه[1]

فقامت السلطات الفرنسية بإغلاقها، فأصدر جريدة "**سبيل الرشاد**"[2]، حيث صدر عددها الأول في 29 جمادى الثانية 1313هـ الموافق لـ 16 ديسمبر 1895م، كان شعارها "جريدة علمية أدبية سياسية تاريخية".

افتتح العدد الأول منها بقوله "**شاقتني داعي الحرية و هزيمتي الغيرة الوطنية إلى إصدار جريدة عربية إسلامية دأبها النصح و الإرشاد**"، و قد كان الشيخ الثعالبي يحرر بنفسه أكثر مقالاتها طول عامها الأول[3]، حيث عاشت عاما ثم عطلتها الحكومة[4] حين رأت أن أفكار الثعالبي ذات توجه ديني إصلاحي[5].

" باللغة الفرنسية، و في LE TUNISIENفي سنة 1907م أصدر "علي حانبة" جريدة " سنة 1909م و بعد الاتفاق مع القائمين على نشر جريدة التونسي باللغة الفرنسية تم نشر جريدة باللغة العربية باسم "التونسي"، كان محررها هو عبد العزيز الثعالبي على أن تنتهج نهجا وطنيا فصدرت هذه الجريدة و عملت على نشر الدعوة لإحياء الحكم الدستوري في تونس.

لكن الإدارة الفرنسية أرادت أن تصدر أعداد هذه الجريدة باللغة العامية التونسية التي أرادتها أن تكون كذلك لغة رسمية للتعليم و المدارس، بهدف قطع الصلة بين التونسيين و الأقطار العربية.

---

[1] – الثعالبي ، سقوط ...، مصدر سابق ، ص 25 .

[2] – أنظر ملحق : الوثيقة رقم 02 ص 109 .

[3] – عبد الرحيم الخليفي، مقال سابق، ص 19.

[4] – قامت الإدارة الفرنسية بإغلاق جريدة "سبيل الرشاد" و أصدرت قانونا جديدا خصت به الصحافة و اشترطت على كل جريدة دفع ضمان قدره ستة آلاف فرنك تعجيزا بذلك لإغلاق الصحف الوطنية. – أنظر: الجندي، المرجع السابق، ص 11.

[5] – اعبد الله، المرجع السابق، ص 33.

لكن زعماء حركة الشباب التونسي هاجموا هذه الدعوة بعنف[1]، و قد كانت النشرتان (الفرنسية و العربية) ترميان إلى هدف واحد هو الرد على الاستعماريين، الذين كانوا يشنون الحمالات الصحفية لغرس النقص في أذهان التونسيين وتشتيت شملهم وإقصائهم عن ميدان التعليم[2].

وقد سميت النشرة العربية من جريدة التونسي بـــ "الاتحاد الإسلامي" وساندت كثيرا الليبيين اثر الاحتلال الايطالي لطرابلس الغرب سنة 1911م و سخرت للدعوة إلى الجهاد و مساعدتهم ماديا و معنويا، وعبرت هذه الجريدة عن عواطف التونسيين المؤيدة للجيش العثماني المار بتونس ، حيث استقبله الشعب التونسي هناك استقبال الفاتحين الإبطال ومنهم من تطوع في سبيل الخلافة الإسلامية[3].

و شارك العديد من الشعراء و الكتاب و الأدباء بأقلامهم في هذه الجريدة معبرين بذلك عن سخطهم الشديد للاحتلال الايطالي على طرابلس[4].

في شـــهر أوت 1920م أصـــدر الشيخ الثـــعالبي مجلة الفـــجر للتعبير عن آرائه حول ما يـــراه من تغيـــرات ينبغي إدخـــالها على المجتمع التونـــسي من أجل نشر الوعي و الفـــكر الثقـــافي[5]، وبث فيها أرائه السياسية الواضحة وليقينه بخطورة الدور الإعلامي سعى إلى توسيع نطاق الطباعة يدعوا إلى تأسيس مطبعة كبيرة وهيأ مطبعة النهضة[6] .

كما كان الشيخ عبد العزيز الثـــعالبي يكتب في كثير من الصحف التونسية و المصرية مثل "النيـــل" و "الغيوم" و "الموسوعات" و الجـــرائد العراقيـــة و الشاميـــة و يبث عبر قلمه السيال أفكاره النيرة في جرأة أدهشت قراءه فقد كان يدعوا عبر هذه الصـــحف إلى

---

[1] – الجندي، مرجع سابق، ص 15.

[2] – الثعالبي، تاريخ شمال ... ، مصدر سابق، ص 8.

[3] – عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص 39 .

[4] – عبد الله، مرجع سابق، ص 45.

[5] – القصاب، مرجع سابق، ص 339.

[6] - عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص 45 .

الإصـــلاح و الوحـــدة العربيةِ الإســـلامية على سبـــيل المثال كتب في مجـــلة "الشـــهاب" التي كانـــت تصـــدر في الجـــزائر في عدد جويلية سنة 1939 تحت عنوان "الوحـــدة العربية في طـــريق التحـــقيق"[1]

المبحث الثالث: وفاته

بعد رحلة طويلة متعلقة بهموم الأمة الإسلامية و مليئة بالجهاد ضد المحتل و ظلمه و غدر القريب، و نكران ود الصحبة آوى عبد العزيز الثعالبي هذه المرة إلى بيته متفرغا إلى التأليف ليقينه بان الواجب يدعوه بأن يترك لهذه الأمة أثرا مكتوبا بالأجيال التي تأتى من بعده.

فقد عاد الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى الوطن لوضع حد للانقسام الذي حصل سنة 1934م داخل الحزب "الحر الدستوري" الذي أنشأه 1920م، و قد حاول التوحيد بين الحزبين (الحزب القديم و الحزب الجديد) لكنه لم ينجح في ذلك.

و باندلاع الحرب العالمية الثانية إبتعد عن الشيخ البعض من أصدقائه، و توقف نشاط الحزب القديم خاصة بعد المصادمات التي وقعت بين الحزبين و التي انتهت بفوز الحزب الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة 1938م.

استولى اليأس على الثعالبي و كان اشرف على 70 سنة من عمره، هذا ما أدى إلى الابتعاد شيئا فشيئا عن حلبة السياسة لكنه لم يتخل عن نشاطه الفكري و الثقافي لأنه كان داعيا دينيا و مصلحا اجتماعيا قبل أن يكون زعيما سياسيا و استمر في الاتصال بالمثقفين[2].

و بالرغم من المرض الذي عل جسمه بعد أن أصابه الشلل النصفي في الجانب الأيسر، لتبقى للثعالبي فرصة الحركة بالجانب الأيمن، كاتبا و مؤلفا تلك الصفة الملازمة له حتى

---

[1] – كتب يقول، الوحدة العربية كيان عظيم ثابت، غير قابل للتجزئة و الانفصال، يشغل قسما كبيرا من رقعة آسيا الغربية و شطر من إفريقيا، يمتد رأسه في الشرق من المحيط العربي و يسير مغربا غربا إلى المحيط الأطلنطي و يضم في هذا الشطر نصف القارة الإفريقية. أنظر: عبد الله، مرجع سابق، ص 55.

[2] – الثعالبي، تاريخ شمال ...، مصدر سابق، ص ص ، 12– 13

النفس الأخير:" **فالعلة التي أصابتني فشلت يدي و رجلي، و أثقلت لساني لكنها لم تمس حذوة التفكير مني و سلامة الإدراك و التمييز**[1]"

فقد كان يجلس في بيته كل يوم جمعة بعد العصر لإلقاء الدروس على الطلبة بجامع الزيتونة حول مقاصد الشريعة الإسلامية أو التاريخ أو مشاهداته في البلدان الإسلامية[2].

كما أنه أشار بعقد مؤتمر في شهر سبتمبر 1944م، قبل أسبوع واحد من وفاته، و ما سنحت له الفرصة للحضور إذ كان على فراش الموت، و عقد المؤتمر في منزل الحكيم أحمد بن ميلاد و اختتم المؤتمر أعماله عن قرار حاسم و هو "المطالبة بالاستقلال التام عن فرنسا".

انتهى هذا المؤتمر و معه ودع الشيخ عبد العزيز الثعالبي العالم الدنيوي إلى الرفيق الأعلى بعد 70 سنة من عمره، فقد توفي في صباح يوم الأحد الساعة العاشرة (14 شوال 1363هـ الموافق لـ 01 أكتوبر 1944م) و دفن في مقبرة[3] الزلاج[4].

و لم يكد يصل نبأ الوفاة حتى بدأت رسائل النعي و التعزية للأمة العربية و الإسلامية تتهاطل مؤكدة أهمية الثعالبي في العالم العربي و الإسلامي.

و قد نعته العديد من الصحف كالزهرة(عبقري يسقط في الميدان) ، كما نشرت خبرا آخر عن وفاته تحت عنوان (الأمة التونسية تشيع فقيدها إلى مثواها الأخير) مما جاء فيه " كان لنعي الرحالة التونسي الكبير والخطيب العربي الفذ ، وعبقري البيان ولغة القرآن الشيخ عبد العزيز الثعالبي صداه البعيد ، وتأثيره البالغ فخفت الأمة التونسية بمختلف

---

[1] – الثعالبي، الرسالة ...، مصدر سابق، ص 39 .

[2] – الثعالبي، تاريخ شمال ...، مصدر سابق، ص07.

[3] – عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص 56 .

[4]– الزلاج، مقبرة إسلامية تقع في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية، و هذه المقبرة لها مكانة خاصة عند التونسيين نظرا لاحتوائها على "جبل التوبة" المعروف بجبل "سيدي أبي لحسن" و "مغارة أبي لحسن الشاذلي" و قبور عدد كبير من العلماء و المشاهير الرجال و أرض المقبرة وقف ،و لكن جمعية الأوقاف أوكلت أمر القيام بشؤونها إلى البلدية.

– أنظر: عبد الله، مرجع سابق، ص 45

طباقاتها لتشييع جثمانه إلى مقره الأخير وكان الموكب رائعا مؤثرا ، حيث سار القوم في سكون وخشوع وتأثر واعتبار وكان النعش مجللا بالسواد ، مكتسيا شعار الحداد " .

أما مجلة "الثريا" الأسبوعية فقد كتبت عنه بعنوان (حداد الأمة التونسية على المرحوم المنعم الشيخ عبد العزيز الثعالبي) كما نعته العديد من الصحف الأخرى كالمنار و الأسبوع و الإرادة[1].

فبوفات الثعالبي فقدت الأمة الإسلامية صوتا مجاهدا و رجلا مدافعا عن البشرية جمعاء، فهو أحد الداعين الأوائل بوحدة الأمة العربية[2]

و ربط كفاح المغرب بإخوانهم بالمشرق، باعثا بذلك الروح الوطنية و النضالية و القومية في أبناء الأمة[3].

فهو كما وصفه العلامة محمد بن عاشور: "برز الثعالبي بعد الحرب العالمية الأولى بماله من ماض في السياسة و الإصلاح الديني و الاجتماعي فبعث معالم النهضة التونسية و أصبح زعيم النهضة المطلق رحمه الله رحمة واسعة".

فبالرغم من توديع الثعالبي العالم الدنيوي إلا أن أفكاره الإصلاحية و مؤلفاته و أعماله راسخة لا تزول فهي أفكار تجدد الأمل و توقظ الإيمان و تبشر بالمستقبل لوطن حر يدين بالإسلام.

---

[1] – الخرفي ، مرجع سابق ، ص ص 11 – 12 .

[2] –محمد ، مرجع سابق ، ص 64 .

[3] – عبد الله ، مرجع سابق، ص 17 .

الفصل الثالث

عبد العزيز الثعالبي ودوره السياسي في تونس

المبحث الأول : انضمامه لحركة الشباب التونسي

المبحث الثاني : دوره في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي والحزب الدستوري الجديد

أ - الصراع بين الجديد والقديم

ب -محاولة إصلاحه

لقد بدأت الحركة الوطنية نضالها باتخاذ أسلوب الكفاح المسلح طريقا للنضال و لجأت في أحيان أخرى إلى المظاهرات و الاضطرابات و الاحتجاجات، و لم تنتظم هذه المقاومة في تنظيم ذي محتوي سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي إلا بعد تجارب مريرة خاضها النضال الوطني ضد سلطات الاستعمار و المعمرين.

ومن خلال هذه المعارك الضارية بدأ الوعي لدى الشباب التونسي و المثقفين التونسيين يتجه إلى العمل السياسي التنظيمي[1]،وكان عبد العزيز الثعالبي من هؤلاء المناضلين الذين حملوا على أكتافهم مهمة الكفاح ضد الاستعمار مستمدا مفهوم المقاومة والجهاد من الإسلام كدين وحضارة[2].

وسنبين في هذا الفصل دور الثعالبي في الحركة الوطنية التونسية حيث تناولنا في الفصل الأول انضمامه لحركة الشباب التونسي ،أما المبحث الثاني فقد تطرقنا فيه إلى تأسيس عبد العزيز الثعالبي للحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920م و الصعوبات التي واجهها في سبيل الحصول على مطالب الحزب.

و المبحث الثالث بينا فيه الجهد الكبير الذي بذله إثر عودته من المشرق العربي بعد رحلة دامت 14سنة و ذلك لأجل إعادة التوحيد بين الشقين المتنازعين.

---

[1]– عبد الله ، مرجع سابق ، ص 39.

[2]– بن عاشور ، مصدر سابق ص 118.

المبحث الأول: الانضمام لحركة الشباب التونسي

في مطلع قرن 20 برز عدد من المتعلمين و المثقفين من خريجي المدرسة الصادقة وجامع الزيتونة والذين استندوا على أساس ثقافة إسلامية وعربية مع ثقافة أوروبية وتفاعلوا عبر الرأي العام والصحف في نشر أفكارهم ، وأبرزهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي .

ففي سنة 1907م تأسست حركة الشباب التونسي على يد علي باشا جانبه ،و جمعت هذه الحركة بين عناصر ذات توجه إسلامي تخرجت من الزيتونة تؤمن بأن الإسلام عامل نهضة و تقدم و لم يكن سببا في الجمود و التخلف ، و بين نخبة متعلمة في المدارس الفرنسية التي أصبحت ترى بأنها استفادت من الحضارة الأوروبية بما يكفيها لتسيير شؤونها بنفسها [1] .

ساهمت هذه الحركة بشكل فعال في دفع طريق النضال إلى الأمام[2] ، حيث بدأت بتنظيم الجماهير في إطار الحزب[3] ، و قد كانت هذه الحركة نشطة لها برامجها ووسائل عملها ومن ضمنها صحيفة (le tunisien)[4] و التي أصدرها علي باش حانبة و هي لسان حال الحزب صدر عددها الأول في 07 فيفري 1907 م[5].

---

[1] –يزير ، مرجع سابق، ص 67،

[2] –خرجت هذه الحركة من الإطار الذي أراد الفرنسيون أن تكون عليه خاصة أولئك الذين تعلم في المدارس الفرنسية ، و هي مجموعة من المثقفين تكون أداة في يدهم لكي تكون عملا مساعدا في نشر الحضور الأوروبي ، لكن التجربة التي كانت لهؤلاء مع الفرنسيين جعلت منهم وطنيين مرتبطين بشعبهم و أمتهم فكانت هذه أول ضربة توجه للاستعمار من طرف التونسيين المثقفين بالفرنسية . انظر : عبد الله ، مرجع سابق ، ص 40.

[3] – عبد الله، نفسه ،ص 39.

[4] –أنظر الملحق :الوثيقة رقم 03 ص110.

[5] –شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 70.

و قد كانت هذه الصحيفة ناطقة باللغة الفرنسية تدافع عن مصالح التونسي لدى السلطة الفرنسية و بلغتها[1].

في سنة (1908م) غير الحزب التونسي لحركة الشباب التونسي اسمه أصبح يدعى بـــ تونس الفتاة[2] لأنه تأثر بحركة "تركيا الفتاة" (لحزب الاتحاد و الترقي)[3] ، وقد كان هذا الحزب يدعو إلى إصلاحات دستورية واسعة ، كما سعى إلى تحقيق وحدة المغرب العربي و طالب بحقوقهم[4] ، لكنهم لم يناهضوا نظام الحماية فقد كانوا يرون فيه حتمية تاريخية ، وكانوا يطالبون سلطات الحماية بإصلاحات خاصة في مجال التعليم لإصلاح حال أبناء بلادهم[5] .

وقد ساند الشعب التونسي هذا الحزب و تضامن معه ، و كان من ابرز وجوه هذا التضامن هو انضمام عبد العزيز الثعالبي للعمل مع علي باش جانبه[6]و الذي أشرف على تحرير الطبعة العربية من جريدة التونسي التي صدرت بالفرنسية سنة 1907م [7] و بذلك انفصلت الحركة الوطنية بتأثير من الثعالبي عن التأثير الثقافي الغربي ، و أصبح مقر جريدة التونسي هو مقر قيادة الحركة الوطنية[8] .كانت النشريات الفرنسية و العربية

---

[1] –جعل التعليم إجباريا و مجانيا في الابتدائي، ضمان تغطية اجتماعية واسعة ، بناء نظام قضائي عصري و عادل إرساء حياة سياسية تمكن التونسي من ممارسة حقوقهم بواسطة تمثيل شعبي منتخبا و هياكل دستورية قائمة .أنظر : المرجع نفسه ص 70.

[2] –، محمود شاكر ، مرجع سابق ،ص 104.

[3] – عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ،ص 38.

[4] – رأفت الشيخ ، مرجع سابق ، ص 143 .

[5] –محمد الهادي شريف، مرجع سابق،ص 114.

[6] –عبد الله، مرجع سابق، ص 40.

[7] –القصاب،مرجع سابق ،ص 493.

[8] –عبد الله، مرجع سابق ،ص 41.

من جريدة التونسي ترميان لغاية واحدة و هي الرد على الاستعمار الذي كان يشن حملات صحافية لتشتيت شمل التونسيين و إقصائهم عن ميدان التعليم[1] .

واجه حزب "تونس الفتاة " العديد من المشاكل و الأحداث منها :

*. **مطالبة اليهود بالجنسية الفرنسية:** اعتبر الوطنيون هذا الإجراء مساسا بسيادة البلاد و بسلطة الباي ، فقامت المظاهرات و قادها "علي باش حامبة ". و عندما تمسك اليهود بهذا المطلب تطورت الحركة إلى مقاطعتهم ماديا و أدبيا مما أدى إلى تراجع السلطات و عدم تطبيق إجراء التجنيس،[2] وكان هدف فرنسا من هذه الحملة هو تقوية الجالية الفرنسية التي كانت قليلة العدد في ذلك الوقت[3] .

*. **إضراب طلبة الزيتونة** : في سنة 1910 م قدم طلبة جامع الزيتونة عريضة تتضمن مجموعة من المطالب تتعلق بتنظيم الدراسة و طرق التدريس و إعادة النظر في محتوى البرامج و تحديدها وإعفائهم من الخدمة العسكرية، لكن أغلب أساتذة هذه الجامعة رفضوا هذه المطالب مما أدى بالطلبة إلى الدخول في إضراب في أواسط أفريل 1910م للتعبير عن إنتقادهم للتعليم الزيتوني[4] .

وقد ساند حزب تونس الفتاة هؤلاء الطلبة و خاصة عبد العزيز الثعالبي حيث دافع عنهم في جريدته عن طريق مقالاته الطويلة، كما خصهم بعدد من الأعمدة يقررونها بأنفسهم لعرض قضيتهم حتى أنهم اعتبروا أن هذه الجريدة جريدتهم ، و بعد توسط قادة حزب تونس الفتاة بينهم و بين السلطة الفرنسية نجح الطلاب بالحصول على مطالبهم[5].

---

[1] – الثعالبي ، تاريخ شمال ... ، مصدر سابق ، ص ص 8 –9 .

[2] –نجيب صالح، مرجع سابق ، ص ص.305 –306.

[3] – عبد الله، مرجع سابق، ص 42.

[4] – شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص75.

[5] – الثعالبي ، تونس... ، مصدر سابق ، ص 11.

*. **حرب طرابلس :** في ظل الحرب الايطالية –التركية حول ليبيا[1] كانت تونس الفتاة تعمل على توحيد الرأي العام العربي و الإسلامي، و خاصة في بلاد المغرب العربي للوقف بوجه الاستعمار الايطالي[2] بقيادة علي باش حانبة و عبد العزيز الثعالبي ،وكانت هذه الحركة تمد المناضلين الطرابلسيين بالأموال و المتطوعين و تقوم بتسهيل عبور الضباط الأتراك من مرسيليا إلى طرابلس عبر الحدود التونسية، و قد تكونت حركة دعم و مساندة تسابق الناس في جمع التبرعات لتموين المجاهدين و تسليحهم و إسعافهم،[3] و يذكر أحمد توفيق المدني[4] في كتابه (حياة كفاح ، مذكرات ، الجزء ،01) إن العالم إندهش لأمور 3 شاهدها و لم يكد يصدقها وهي :

–الشباب العجيب الغريب الذي أبداه أهل طرابلس و صمودهم أمام العدوان الايطالي.

–الضعف الكبير الذي إمتاز به الجيش الايطالي .

–وقوف العالم الإسلامي عامة و العربي خاصة بكل قوة و صلابة كرجل واحد في وجه العدوان الايطالي[5] . أما عبد العزيز الثعالبي فقد سخر لسانه و قلمه و كل طاقاته للدفاع عن ليبيا[6].

---

[1]– في أواخر سبتمبر 1911 أعلنت ايطاليا عزمها على ضم ولاية طرابلس إليها بحجة عجز السلطان عن ضمان سلامة جاليتها هناك نظرا إلى الإخطار الناتجة عن الاضطرابات التي هزت الشرق التي زادت مع وصول حركة الشباب التركي ، أنظر : شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 76.

[2]–مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ المغرب العربي المعاصر والحديث، ط1 ، دار أسامة للنشر وتوزيع ، الأردن 2004 ، ص 229.

[3] –عبد الله ،مرجع سابق ، ص 44.

[4]– أحمد توفيق المدني : (1899–1983) المؤرخ و الكاتب السياسي أحد أقطاب الحركة الوطنية في المغرب العربي و أحد المؤسسين لحزب الدستور و بسببه نفته فرنسا إلى الجزائر صدرت له عدة مؤلفات (أولها تاريخ الجزائر سنة 1931 و آخرها الحياة كفاح في 03 أجزاء ، الجزائر 1976 أنظر : الخرفي ، مرجع سابق ،ص 33.

[5]– احمد توفيق المدني : حياة كفاح (مذكرات) الجزء الأول في تونس 1905 –1925 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر 1976 ،ص ص36–37

[6]– الثعالبي ، تونس... ، مصدر سابق ، ص 12.

و جعل الثعالبي من الاتحاد "الاتحاد الإسلامي " الناطق الشبه الرسمي لنضال ليبيا و عواطف تونس ، كما أشرف على صندوق تبرعات وطني لمد الكفاح الليبي[1] و لقد كان سقوط طرابلس في أيدي الايطاليين أثر كبير في نفوس التونسيين و ساهم في تفجير أحداث الزلاج في 07 نوفمبر 1911[2] .

أحداث الزلاج : إندلعت أحداث الزلاج إثر طلب تقدمت به بلدية العاصمة التي يسيطر عليها العنصر الفرنسي لتسجيل مقبرة الزلاج باسمها[3] لتمكين السكة الحديدية من اجتيازها

و قد تصادم المتظاهرون التونسيون القادمون إلى المقبرة بالجيوش الفرنسية الذين شنوا معركة حقيقية للسيطرة على المقبرة[4] .

و يذكر أحمد توفيق المدني أن هذا اليوم الرهيب انتهى بموت عدد كبير من التونسيين و اثنين أو ثلاثة من الفرنسيين و الايطاليين، و تعتبر حادثة الزلاج حسب وجهة نظره أنها مكيدة إستعمارية أراد الاستعمار الفرنسي من ورائها القضاء على الحركة الوطنية التونسية التي أخذت تظهر للوجود [5].

و قد رأت الإدارة الفرنسية أن أسباب الانتفاضة هي عملية مدبرة من بعض أعضاء حركة الشباب التونسي و في مقدمتهم عبد الجليل زاوش [6] و علي باش جانبه لكن التحقيقات العدلية التي قامت بها الحكومة لم تثبت هذه الاتهامات الموجهة إليهم[7] .

---

[1]–الثعالبي ، مصدر سابق ، ص12.

[2] الثعالبي ، مصدر سابق ، ص 12

[3]– شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 76.

[4]–القصاب ، مرجع سابق ، ص 494.

[5]–المدني ، مصدر سابق ، ص ص 42، 46.

[6]– عبد الجليل جاويش : (1873–1947) يعتبر من ابرز الصحافيين و رجال السياسة ، ولد بتونس في عائلة معروفة بخدمتها العائلية التونسية ، درس بمعهد سان شارل ، و التحق بكلية الحقوق في باريس ، و عند عودته اهتم بقضية بلاده و قام بالعديد من الانجازات الكبيرة في سبيل تحرير وطنه أنظر : الزمرلي ، مرجع سابق ، ص 253.

[7]–شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 79.

الترامواي : تتمثل هذه الحادثة في مقاطعة الشعب للترام الكهربائي بسبب سلوكها العنصري [1] حيث إن امرأة أجنبية كانت راكبة عربة الترامواي وكثر الزحام حولها فتأففت من الركاب التونسي ونزلت قائلة " أن الركوب أصبح لا يطاق مع هؤلاء المقملين " فسمعها أحد الوطنيين ونادى بمقاطعة الركوب الترامواي [2] .

ومما زاد الأمر احتقانا هي سرعة هذه القاطرات عند مرورها بالأحياء العربية [3] ، فقد داس سائق ترامواي من جنسية إيطالية أحد الأطفال المسلمين التونسيين يوم 9 فيفري 1912م فقتله ، فقرر السكان مقاطعة الترمواي [4] وطلب العمال التونسيين من الشركة المساواة في الأجور التونسيين والايطاليين[5].

وقد طال أمد المقاطعة فأصبحت الشركة مهددة بالإفلاس ، فاتفق قادة الحركة الوطنية على التدخل لإنهاء المقاطعة مقابل مطالب تتعهد الشركة بقبولها[6]، وقد كان عبد العزيز الثعالبي ضمن هذه اللجنة التي تأسست لمد المساعدة إلى عملية الترامواي ماديا ومعنويا [7] وقد تضمنت مطالبها مايلي :

-طرد العمال الايطاليين وتعويضهم بالتونسيين وفرنسيين .

-مساواة كل العمال دون تمييز واحترام الركاب التونسيين .

-تخفيض السرعة في الأحياء العربية وطرد كل من يتسبب في قتل إنسان من سائق الشركة.

-استعمال اللغة العربية إلى جانب الفرنسية في كتابة العناوين والإرشادات[8].

---

[1]-عبد الله ، مرجع سابق ، ص 49.

[2]- يزير ، مرجع سابق، ص 70.

[3]-عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص 39.

[4]- المقاطعة لم تكن نتيجة عمل قام به عمال الشركة وإنما حصلت بايعاز من لجنة سرية تضم علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي وبعض المقربين منهم ، انظر: شاطر وآخرون ، مرجع سابق ،ص 81.

[5]- القصاب ، مرجع سابق ،ص 495.

[6]-عبد الله ، مرجع سابق ،ص 50.

[7]-الثعالبي ، تاريخ شمال إفريقيا ، مصدر سابق ، ص 09.

[8]- قدادرة ، مرجع سابق، ص 94.

لكن الشركة رفضت مطالب التونسيين كما أنها صبت جل غضبها على زعماء الحركة الوطنية الذين حملتهم مسؤولية المقاطعة [1].

وقرر المقيم العام في 13 مارس 1912 إيقاف 7 عناصر ونفي 4 منهم إلى فرنسا وهم : علي باش حانبة ، وعبد العزيز الثعالبي ، ومحمد النعمان ، وحسن الجلاتي[2] وأعلنت الحكومة الاستعمارية حالة الحصار والأحكام العرفية العسكرية بكامل التراب التونسي ، وعطلت جميع الصحف العربية ومنها جريدة التونسية ، كما منعت الاجتماعات وتوقيف الجمعيات والنوادي وأغلقت المطابع ونزل التعسف سجنا ونفيا وعقوبات إدارية على رجال الحركة الوطنية فخمدت الحركة الفكرية وساد عليها الركود[3] .

مكث علي باش حانبة قليلا في فرنسا ثم رحل إلى اسطنبول وبقي فيها إلى أن توفي 1918 م أما الثعالبي فمن فرنسا انتقل إلى إسطنبول ثم قام برحلة أخري طويلة إلى الشرق ولم يرجع إلى تونس إلا سنة 1914 م إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى[4].

اقتصر الوطنيون الذين التفوا حول الثعالبي بعد عودته من منفاه سنة 1914 م على العمل السري خوفا من بطش الإقامة العامة بهم من جديد في وضع حالة الحصار بسبب الحرب الكبرى[5]، وبقي الثعالبي مترقبا واضعا ثقته في المحور لاعتقاده بان انتصارهم سيعمل على تحرير الشعوب ومن بينها الشعب التونسي[6]، وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى تبخر أمل قيام " جمهورية شمال إفريقيا " فتحمل التونسيون تلك الصدمة ، لكنكم سرعان ما تأقلموا مع الوضع الجديد[7].

إن الظروف التي طرأت بعد الحرب العالمية الأولي أدت إلى ظهور حركة وطنية التونسية بوجه جديد وتحت اسم جديد وهو الحزب الدستوري التونسي .

---

[1]–عبد الله ، مرجع سابق ،ص 50.

[2]–شاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 81.

[3]– بن عاشور ، مصدر سابق ،ص 101.

[4] –الثعالبي ، تونس ...، مصدر سابق ،ص 13.

[5]–حباسي ، مقال سابق ، ص 143.

[6]–يزير ، مرجع سابق ، ص 71.

[7]–حباسي ، مقال سابق ، ص 151.

المبحث الثاني : تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى تجمعت حول عبد العزيز الثعالبي مجموعة من العناصر الباقية من الحركة السابقة ورجال الصحف المعطلة إضافة إلى صفوة من شباب وطنيين من اجل تجديد النهضة التونسية والعمل السياسي في سبيل التحرر.

عقد أول اجتماع في مارس 1919 م وقد حضره 30 مندوبا من المسلمين وثلاثون من اليهود وقد ظهرت في المناقشات خلافات بين الأطراف وانقسموا إلى نزعتين : الأولى بقيادة الثعالبي طالب بدستور لتونس وحكم ديمقراطي ، واللجوء إلى كل الوسائل للوصول إلى هذه الغاية ، والطرف الثاني يضم بعض من التونسيون ذوي النفوس الضعيفة واليهود فضلوا الحصول على إصلاحات تدريجية وتطوير النظام ذاته[1] .

وعندما تمسك كل طرف بموقفه تقرر عقد اجتماع أخر لإيجاد حل ، ولكن في التاريخ المحدد تغيب اليهود الثلاثون ، فضم الاجتماع أنصار النزعة الأولى وقرروا تأسيس الحزب التونسي .

وقد ضمت هذه التشكيلة الجديدة التي تأسست سنة 1919 م إلى جانب عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وحسن الجلاتي وقدماء أنصار " تونس الفتاة" ، وجوها جديدة من المحامين والصحافيين والأطباء [2].

في هذه الفترة كانت الشعوب الإسلامية الأخرى في صدد التخلص من الاستعمار ، فقد عمل سعد زغلول [3] في مصر 18 نوفمبر 1918 إلى مطالبة المندوب البريطاني السماح له بالتحول إلى لندن للتفاوض في شأن طرق إحراز مصر على الاستقلال ، أما طرابلس العرب فقد حصلت في 1919 م على " القانون الأساسي " الذي يقضي بإنشاء برلمان طرابلسي منتخب ، الأغلبية من أعضائه مسلمين ، أما المسؤولين في روسيا فقد

---

[1]– الثعالبي ، تونس ...، مصدر سابق ،ص 14.

[2]–قدادرة ، مرجع سابق ،ص ص 97 – 98.

[3]–سعد زغلول: هو سعد بان إبراهيم زغلول ولد سنة 1860م في قرية ابيانة ، توفي أبوه وهو في الخامسة من عمره ، حفظ القران والتحق بالأزهر سنة 1873 م درس العلوم على يد العديد من الشيوخ منهم محمد عبده ، جمال الدين الأفغاني ، اشتغل بالمحماة ثم القضاء . أنظر : زميرلي ، مرجع سابق ، ص 75.

قرروا مساندة كفاح جميع الشعوب المضطهدة ، ومن خلال هذه الأحداث لا يمكن للتونسيين أن يبقوا مكتوفين الأيدي ، فحاولوا الاستفادة من الرئيس ويلسن [1] الذي جاء في تلك الفترة إلى باريس من أجل مؤتمر الصلح ومبادئه 14 و من ضمنها البند الذي ينص على حق الشعوب في تقرير مصيرها .

نشاط عبد العزيز الثعالبي في باريس:

و اتفقت قيادة الحزب على إرسال أحمد السقا كي يقدم مطالب تونس [2] و قد تمكن من الاتصال بالصحف و ببعض الأوساط اليسارية (الحزب الاشتراكي) الذي قرر عرض القضية على مجلس النواب حيث هيأ الأرضية إلى أن التحق به عبد العزيز الثعالبي في جويلية 1919[3].

لكن الرئيس الأمريكي وضع في الأخير مصالح القوى الحليفة فوق مبادئه و اعتبر المسألة التونسية من قضايا فرنسا الداخلية و أمام هذا الوضع غير الحزب من إستراتيجيته و عمل على استعطاف اليسار الفرنسي عبر موفدي الحزب أحمد السقا و عبد العزيز الثعالبي [4].

و أثناء إقامة الثعالبي هناك إتصل الثعالبي بزعماء و حركات التحرر في العالم الذين تجمعوا لحضور مؤتمر الصلح معرفا بالقضية التونسية كما قام بحملة ضد الحكومة الفرنسية و طلب رفع إجراءات الحجر المفروضة على الصحافة التونسية [5] و فعلا استجيب له و تقرر رفع حالة الحصار و ألغي قرار تعطيل الصحف في 1920 م فعادت الصحف المحتجة و صدرت صحف جديدة و التي كانت تآزره وتستمد التوجيه منه [6].

لقد بذل الثعالبي جهدا كبيرا من أجل القضية التي أتى من أجلها فقد استخدم التونسيين المقيمين في العاصمة الفرنسية و العرب عامة الذين بهرتهم شخصيته كما اختلط بمختلف التجمعات السياسية ونظم الاجتماعات و كتب في الصحف المقالات واستطاع ربط

---

[1] – القصاب ، مرجع سابق، ص 498.

[2] –الثعالبي، تونس ... ، مصدر سابق ص ص14،15.

[3] – شاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 86.

[4] –قدادرة ، مرجع سابق ،ص 98.

[5] –عبد الرحيم الخليفي، مرجع سابق ،ص ص. 42 – 43.

[6] – بن عاشور ، مصدر سابق ،ص 119.

صداقات عديدة وحميمة معا لعديد من الشخصيات و قد كان همه منذ ذلك هو الدعوة للقضية التونسية وحشد الرأي العام العالمي حولها فتميز بأنه داعية نادر المثال [1].

لم يلتحق الثعالبي بباريس طامعا في العودة إلى تونس بتقرير المصير من مؤتمر الصلح وإنما حل بالعاصمة الفرنسية لينتهز الفرصة ويعرض أوضاع تونس على الساسة الفرنسيين[2]ويروى حسن الجلاتي عن آخر مقابلة بينهما في 1919 م[3] مايلي :" جاء يزورني الثعالبي قبل سفره بأيام لباريس فتحدثنا طويلا وتناول هو صورة خاصة أفكار ويلسون فألقيت عليه هذا السؤال : هل تظن أن بنود ويلسون ممكنة التطبيق على المستعمرات الفرنسية شمال إفريقيا ؟ فأجاب : لست طفلا أنني اعتمد على هذه المبادئ لعرض أوضاعنا ومطالبنا على الساسة الفرنسيين " .

ويقول في رسالة أخري كتبها وهو في باريس 1919 م يقول : " لم آت باريس طلبا للنزهة أو الراحة ، لكنى جئتها موفدا من امتنا المضطهدة التي كلفتني بمهمة صعبة وشاقة على كتفي الضعيفين ، هذه المهمة هي أن أضع على بساط البحث القضية التونسية ، أن أبدأ الحديث عنها وأجهل أن كنت سوف انجح ، أما إذا فشلت فأضل في العالم وأهجر وطني لأني لم أستطيع خدمته كما أردت وسوف اقتصر على العمل من اجل عائلتي التي ضحيت بها لمصالحة وطني الغالي" [4] .

لكن فشل الحزب الاشتراكي الفرنسي في الانتخابات أكتوبر 1919 م جني آمال التونسيين ، بعد أن كان يعول عليه في دعم القضية التونسية وتحقيق الاستقلال كأمل أيضا ففجر الخلاف بين أعضائها بين مؤيد للحماية ورافض لها .

---

[1] –الثعالبي ، تونس... ، مصدر سابق ،ص 15.

[2] –حباسي، مقال سابق ، ص 148.

[3] – الثعالبي ، تونس ... ، مصدر سابق ، ص ص 15 –16.

[4] – ظهرت أربعة اتجاهات ، الأول ثوري يدعوا إلى الاستقلال الكامل ومعاداة الفرنسيين بمثابة محمد باش جانبه الثاني إصلاحي ينادي بالمساواة بين الفرنسيين والتونسيين بمثله حسن قلاني والثالث معتدل يسعي للنهوض بالتونسيين في إطار الحماية ، والرابع بمثله الثعالبي استغلوا نهاية الحرب وطالبوا بالاستقلال ثم عدلوا هذه السياسة واكتفوا بدلا من ذلك بمنهج الإصلاح ، انظر : قدادرة ، مرجع سابق ، ص ص 99 – 100

وفي هذه الفترة أصدر الثعالبي كتابه تونس الشهيدة [1] وهو عنوان معبر عن حالة البلاد التونسية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية السيئة منذ حلول الحماية بها وقد اعتمد الثعالبي على شهادات وإحصاءات الكتاب الأوروبيين والفرنسيين ليكون الكتاب أكثر تأثيرا على الرأي العام الفرنسي[2] ، وفي ختامه ذكر الثعالبي مطالب التونسيين[3] .

لقد صدر هذا الكتاب دون توقيع ، ولاقى هذا الكتاب نجاحا واسعا ، وقام هو بتوزيعه عن طريق البريد إلى كل المسؤولين الفرنسيين من وزراء ونواب وموظفين كبار وتمكن من إرسال حوالي (474) نسخة إلى داخل تونس ، واعتمد عليه الناس في كتابة العرائض التي حملت ألاف التواقيع للباي وللمقيم العام الفرنسي ،وعلقت عليه الصحف الفرنسية ونشرت منه الصحافة الحرة صفحات كثيرة [4].

وذكر أحمد توفيق المدني انه في هذه الفترة أرسل الثعالبي إلى أصحابه في تونس رسالة وذلك في شهر فيفري 1920 م أهم ما جاء فيها هو : " أن حركة ولسن قد أخفقت والآمال المبينة عليها قد انتهت ، وعلمت الشعوب العربية ، أنها لن تنال حقها إلا بجهودها لهذا لزم الاستعداد لكفاح طويل مرير ، وأنه لم يعد الآن بالإمكان المطالبة بالدستور ، وأنه يجب على الحزب أن ينظم ويتطور ويدعي الحزب الحر الدستوري التونسي "[5] .

وفعلا فقد نظم هؤلاء في فيفري 1920 م اجتماعات عديدة من اجل إعداد برنامج وتأسيس الحزب السياسي على هذا الأساس ، وكانت هذه الاجتماعات تعقد في بيت علي

---

[1] – إن كتاب تونس الشهيدة لم يكن من النتاج الشخصي لعبد العزيز الثعالبي ، وإنما هو ثمرة جهود مجموعة من أعضاء الحزب أمثال الصادق الزمرلي والمنصف المنستيري وعلى كاهية وتكفل أحمد السقا بترجمته إلى الفرنسية لعرض القضية أمام القضية الرأي العام ، أنظر : شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 86 –87.

[2]–حباسي ، مقال سابق، ص 149.

[3]–منح التونسيين النظام الدستوري ، وفصل السلطة التشريعية عن التنفيذية والقضائية واقتراح إنشاء مجالس في الأرياف والمدن تتولي النظر في شؤون المحلية ، حرية التعليم ، من قوانين اجتماعية ، انظر : القصاب ، مرجع سابق ، ص 500.

[4]–عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ، ص ص 43 – 44 .

[5]–المدني ، مصدر سابق ، ص 173.

كاهية [1] وقد انقسم المجتمعون إلى تياران واضحان أحدهما يكتفي بالإصلاحات ويعترف بالاحتلال وشرعية الحماية بزعامة " حسن الجلاتي" والثاني يريد الاستقلال ويرفض الاحتلال وبعد نقاش حاد إتفق الطرفان على برنامج غايته الوصول إلى " دستور" لتونس وكانت مبادئ الحزب مستوحاة مما جاء في كتاب " تونس الشهيدة "[2] ،

وعندما إطلع الشيخ الثعالبي على ذلك البرنامج صادق عليه وتقرر تقديمه في نفس الوقت إلى الباي والمقيم العام ورئيس مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب بفرنسا [3] .

وهكذا نشأ حزب سياسي بالايالة التونسية هو " الحزب الحر الدستوري التونسي " وتاريخ انبعاثه هو 15 جوان 1920 م ، وانتخب عبد العزيز الثعالبي رئيسا للحزب وأحمد الصافي[4] أمينا عاما له [5] ، وتقدم الحزب الدستوري ببرنامج عام 1920 م يتلخص فيما يلي :

1 تشكيل جمعية تشريعية مختلفة (فرنسية وتونسية) لها صلاحيات واسعة لا سيما في القضايا المالية .
2 تأليف وزارة مسؤولة أمام المجلس .
3 الفصل بين السلطات التشريعية ، التنفيذية والقضائية فصلا تاما .
4 منح التونسيين حق أشغال الوظائف حسب كفاءاتهم ومساواتهم بالفرنسيين .

---

[1] –على كاهية ، درس في الزيتونة ، من مؤسسي الحزب الجر الدستوري التونسي وفي منزله في 14 مارس 1920 م ضيعت المطالب الثمانية للحزب ، كان صديقا ملازما للثعالبي ، استقبله بمنزله يوم خروجه من السجن في ماي 1921 وأقام 3 أيام ساهم في تحرير (الاتحاد) ، (الفجر) و(النديم) و (الإدارة) و(النهضة) و(العالم) ، أنظر: الخرفي ، مرجع سابق ،ص ص30–31

[2] –الثعالبي ، تونس ...، مصدر سابق ، ص 18.

[3] –القصاب ، مرجع سابق ، ص 502.

[4] – أحمد الصافي : (1882–1935) تلقي تعليمه في المدرسة الصادقية وفي (جامع الزيتونة) وحصل على إجازة الحقوق في باريس ، وعمل محاميا منذ 1909 م ، هو أول أمين عام للحزب الحر الدستوري التونسي بعد تأسيسه ، رئيس أول وفد دستوري إلى باريس ، بجمل المطالب الدستورية التسعة ، ورئيس الوفد الدستوري الثالث إلى باريس في سنة 1924 م وقد ابلي البلاء الحسن في سبيل القضية التونسية في الأواسط الفرنسية ، أنظر : الخرفي ، مرجع سابق ،ص 175.

[5] –عبد الله، مرجع سابق ،ص 55.

5 المساواة بين الموظفين التونسيين والفرنسيين بالرواتب

6 تشكيل مجالس محلية منتخبة .

7 جعل التعليم إجباريا .

8 منح التونسيين حق شراء أرض الدولة

9 منح التونسيين حق حرية عقد الاجتماعات و تشكيل الأحزاب و ضمان حرية الصحافة[1] .

و انبعث الحزب الحر الدستوري التونسي يوم 1920/03/14 من طرف أنصار عبد العزيز الثعالبي بعد أن تم الاتفاق المبدئي بين المناضلين المجتمعين[2] ، و عمل الحزب على إرسال الوفود إلى باي تونس و السلطة الفرنسية بتونس و باريس من اجل التعريف بالمطالب التونسية[3].

أرسل وفد دستوري إلى الباي يوم 18 جوان 1920 م ضم 40 عضوا و قد استجاب باي تونس لرغبة الوفد[4] قائلا : " ستجدونني معكم دوما وباستمرار، مطالبكم هي مطالبي و سأسعى جاهدا لتحقيقها بكل ما ملكت من قوة و أوتيت من حول " [5] .

كما التحق الوفد الأول [6] بعبد العزيز الثعالبي بباريس، لكن السلطة الفرنسية رفضت المطالب التونسية فقد كانت لا تزال متأثرة بكتاب تونس الشهيدة و قيام الحزب

---

[1] – شاكر ، مرجع سابق ، ص 106

[2] – الذوادي : الوطنية و هاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي دار السراس تونس 1991 ،ص 09.

[3] – عبد الله ، مرجع سابق ، ص 55.

[4] –شاطر وآخرون ، مرجع سابق ،ص 87.

[5] –المدني، مصدر سابق ،ص 138.

[6] – تكون الوفد الأول من أحمد الصافي البشير عكاشة ، مصطفى الباهي صالح بالعجوزة ، بشير ألبقري و قد ساعد هذا الوفد عبد العزيز الثعالبي الموجود بفرنسا آنذاك ، أنظر الذوادي ، مرجع سابق ،ص 09.

الدستوري التونسي[1] و سرعان ما ألصقت التهم بعبد العزيز الثعالبي و تم إيقافه بباريس يوم 1920/08/28 و نقل بعدها إلى تونس و القي به في السجن العسكري يوم 1920/09/22 بتهمة التآمر على امن الدولة و خرقه للبند 81 من القانون الجنائي التونسي الذي يمنع التونسيين من نقد للقرارات الإدارية للسلطات الحماية [2].

لكن أعضاء الحزب واصلوا نشاطهم و أرسلوا وفدا ثانيا إلى باريس في ديسمبر 1921 م و قد عقد هذا الوفد عدة نجاحات منها رفع حالة الحصار التي كانت قائمة بتونس منذ حوادث الزلاج ، كما تمكن من اتصال بشخصيات بارزة في العاصمة الفرنسية و سعت إلى إطلاق صراح عبد العزيز الثعالبي .

وما أن حل لوسيان سان " المقيم العام الجديد" بتونس في 1921/01/21 حتى إستقبل حوالي 40 شخص من التونسيين وعلى رأسهم احمد الصافي الذي قدم إليه المطالب الدستورية ، و في نفس الوقت كان الوفد الثاني يمارس نشاطه في باريس[4].

بعد خروج الثعالبي من السجن إستأنف نشاطه و ذلك بتوجيه الحياة السياسية و الفكرية حسب المنهج النظري الذي يؤمن به و يسعي إليه فقد كان الثعالبي داعيا دينيا و مصلحا اجتماعيا قبل إن يكون زعيما سياسيا لذلك كانت جهة النهضة الدينية و الاجتماعية في حياة الأمة سائدة على شعوره.

و قد انشأ سنة 1921 "مجلة الفجر" كما دعى إلى تأسيس مطبعة النهضة من اجل أن تصدر عنها صحفا يومية كبرى [5] .

لقد ازدادت شعبية الثعالبي أكثر و لقي التأييد و العطف من الشعب التونسي كما لقب بالزعيم "و سعادة الرئيس" و أصبح الرأي العام يستجيب لدعوته و هو أمر أنقم الحاقدين

---

[1] – القصاب ، مرجع سابق ، ص 507.

[2] – الذوادي، مرجع سابق، ص 09.

[4] –القصاب، مرجع سابق، ص ص. 507،511.

[5] – يقول الثعالبي :" لا شك إن من أهم وسائل نشر المعارف و الآداب هي الطباعة و نحن ليس لدينا إلا 03 مطابع الولي رسمية تشتغل للحكومة فقط أما التونسية فمعظم خدمتها في المطبوعات الإدارية فلم يبقى لنا إلا مطبعة الأصلية و هي لا تكفب بحاجة قرية ناهضة فكيف بحاجة شعب يناهز المليونين " أنظر : الفاضل ابن عاشور ، مصدر سابق ، ص 64.

عليه [1] أما باي تونس محمد الناصر فقد ساند الحزب الحر الدستوري مساندة مطلقة و لما شعر لويسيان سان " بخطر الحركة الوطنية فدعى إلى قبول بعض الإصلاحات الهزيلة[2] وهي خطة ماهرة و ذكية لم تنخدع لها إلا قلة قليلة.

قبلت التعاون معه ما سبب إنشقاق في الحزب الحر الدستوري التونسي، و قد قبلت هذه المجموعة الإصلاحات و أسسوا حزبا سمي بـ "حزب الإصلاح" و كان على رأس هذا الحزب "حسين جلاتي" و أصبح هؤلاء متعاونين مع السلطات الاستعمارية فنبذهم الشعب وانتهوا في نظره خونة[3].

و يكمن الخلاف حول طرق عمل الوطنيين ذلك إن" حسن الجلاتي" لا يرغب في التصادم مع الحماية و الأوساط البرلمانية في باريس و يود الاقتناع بإصلاحات تدريجية. و قد ازداد النزاع بين الطرفين واستمر الدستورين في كيل الشتائم لرفقائهم الذين إنضموا للحزب الإصلاحي و قد شن الجلاتي حملة شعواء على عبد العزيز الثعالبي و أحمد الصافي في الجرائد و الصحف[4] منها جريدة تونس الاشتراكية الصادرة في أوت [5].1921

أما الناصر باي فقد ظل مساندا للحزب الدستوري التونسي و هدد بالتنازل على العرش في حالة عدم الاستجابة لتلك المطالب فتدخل "لويسيان سان " لإرغام الباي على التراجع عن قراره و حوصر قصره فهب الشعب متظاهرا متضامنا مع الملك فاجبر المقيم العام على فك الحصار [7]

---

[1] –عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص 45.

[2] – رفع الأحكام العرفية إدخال إصلاحات على المجلس الشوري و أصبح يدعى المجلس الكبير و اوجد وزارة العدل و أطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري نسج خيوطه لكي يتسنى له إغراق تونس بالجاليات الأوروبية من اسبانيا و ايطاليا إلى جانب الفرنسيين المتواجدين هناك و دمج تونس بفرنسا أنظر: عبد الله ،مرجع سابق ،ص 55.

[3] – نفسه ،ص. 56.

[4] –ما آلم الثعالبي هي جريدة المضحك الساخرة التي أرادت أن تجعل منه و من كتاب تونس الشهيدة موضوع سخرية ، أنظر : الثعالبي ،تونس الشهيدة ، مصدر سابق، ص 20.

[5] –القصاب ، مرجع سابق ،ص 513.

[7]– عبد الله ،مرجع سابق ،ص 56.

و بعد مدة توفي الباي محمد الناصر في ظروف غامضة [1].

وبعد أن توفي الملك خلفه ابنه الحبيب باي[2] الذي عرف قبل اعتلائه العرش انه كان من المطالبين بحقوق تونس ومقربا للثعالبي ، لكن بعد أن نصب ملكا انقلب إلى صفوف الفرنسيين واستجاب للمخططات الفرنسية ، وقد كان هدف فرنسا هو إضعاف الحركة الوطنية وإخراج الثعالبي من تونس حتى لا يزعجها في خططها [3] .

لقد أدى انسلاخ العديد من العناصر الدستوري عن الحزب اثر الإغراءات الناجمة عن إصلاحات جويلية 1922 م أن تضاءل الحماس الشعبي ، وقلت موارد أعضاء الحزب ، إلا أن الخلافات قد تعمقت بين الدستوريين ، وضعف نحوه عبد العزيز الثعالبي ، الذي لم يستطيع السيطرة على الخلافات الداخلية ، وهكذا نفذت خطة المقيم العام الذي أرغم الثعالبي على مغادرة البلاد التونسية [4]، والذي كان قد عاهد نفسه أنه إذا ما واجه فشلا سوف يغادر البلاد التي " لم أتمكن من خدمتها كما أول " وبذلك سافر الثعالبي يوم الأربعاء 18– 07 – 1923 بعد أن أحكم عليه الحصار من طرف المقيم العام الفرنسي" لويسيان سان" وكان نتيجة ذلك ركود الحركة الوطنية داخل تونس[5] .

وبعد سفر الثعالبي أصبح محي الدين القليبي[6] يقود الحزب من بعده ، وفي سنة 1924 م عاد الدكتور محمد علي الحامي إلى تونس بعد أن انهي دراسته في ألمانيا حيث كان يرغب في بث روح الحماس في العمال التونسيين حتى تتخلي عن ركودها وتنظيمهم

---

[1] –الزيدي ، مرجع سابق ، ص 232.

[2] الزيدي ، مرجع سابق ، ص 233

[3] –عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص ص 45 – 46.

[4] –شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 91.

[5] –عبد الرحيم الخليفي ، مرجع سابق ، ص 46.

[6] –محي الدين القليبي هو من رموز الحركة الوطنية التونسية و النضال السياسي و القلمي في المغرب العربي ، خلف الثعالبي بعد رحيله إلى الشرق سنة 1923 في إدارة الحزب الحر الدستوري ، ساهم في سبيل استقلال ليبيا و شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس و ناضل من اجل فلسطين في الأردن ترأس تحرير (الاتحاد) و (المبشر) و (الأمة) و (الزهرة) ، وافاه الأجل في نوفمبر 1954 أنظر : الخرفي مرجع سابق ص ص 41 – 42

على أسس نقابية وقد تمكن في وضع البذرة الأولى للتنظيمات العمالية النقابية. [1]

و قد تمكن من حمل العمال التونسيين على الانفصال عن المنظمة النقابية للفرنسية و إنشاء منظمة نقابية وطنية تحمل اسم " جمعة عموم للعملة التونسية "[2] و لما وصل هذا الخبر للثعالبي و هو في فلسطين استبشر لذلك وأيده لكن ما لبث أن جاءته الأخبار أن الحزب الإصلاحي اتفقوا مع المعمرين و الإدارة الفرنسية ضد اتحاد العمال فأصيب بخيبة أمل له ، و كأنه قرر آنذاك ألا يعود إلى تونس أبدا[3] .

و بذلك خلا الجو للمقيم الفرنسي لتطبيق سياسته القمعية و إصدار مجموعة من الأوامر سنة 1926 منها : منع الاجتماعات العامة و التظاهر في الشوارع و نظرا لذلك عرف الحزب الدستوري تراجعا كبيرا بسبب هذه الأوامر الجائرة و قد أصبح قادة الحزب الدستوري لا يقومون بأي عمل أو نشاط يكون مبرر للسلطة التي تبحث عن ادني سبب كي تلحق بهم العذاب الشديد [4].

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي و الحزب الدستوري الجديد :

بسبب نفي الثعالبي إلى المشرق العربي ضعفت الحركة الوطنية داخل تونس فترة طويلة من الزمن و قد أدى هذا الركود إلى حدوث اختلافات و منازعات داخلها أدى في النهاية إلى انقسام في صفوف الحركة و ميلاد الحزب الدستوري الجديد لقد أثار الجمود الذي اثأر الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه الثعالبي ثائرة مجموعة من شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة "صوت تونس" في سنة 1928 و كان يديرها

---

[1] –عبد الله ،مرجع سابق ، ص 57 .

[2] – قدادرة ، مرجع سابق ، ص 102.

[3] – الثعالبي ، تونس ... ، مصدر سابق ، ص 20

[4] – قدادرة ، مرجع سابق ، ص 103

الشاذلي خير الله [1] .

و لقد التف حول هذه الجريدة نخبة من شباب الحزب الدستوري التونسي و قد تميزت هذه الجريدة بالصراحة و الجرأة و الصلابة مما أدى إلى تنشيط الحزب و إعادة الحياة إلى صفوفه و لم تمضي مدة طويلة على هذه الجريدة حتى انشق عنها مجموعة من الشباب و أسسوا جريد " العمل التونسي " [2]و ظهر بين كتاب هذه الجريدة "الحبيب بورقيبة [3]" الذي كان شابا يرغب في بناء الوطن التونسي على أسس اجتماعية و سياسية حديثة [4] .

لقد تمكن هؤلاء من إحباط المحاولة الفرنسية للاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على الاحتلال [5] حيث قام مجموعة من الشباب الدستوريون بحملة دعائية مكثفة لحث السكان على مقاطعة هذه التظاهرة و التعريف بالقضية الوطنية [6] كما تصدوا لقرار التجنيس الذي أصدرته القوات الاستعمارية لتجنيس العرب التونسي بالجنسية الفرنسية لأنه كان يرمي إلى تنصير العرب فرنستهم و القضاء على الشخصية الوطنية القومية [7]

---

[1]– (1898 – 1972) و الابن الأكبر للمرحوم خير الله بن مصطفى تربى على يد والده الذي غرس في نفسه التعلق بالشرف و النزاهة الفكرية تميز منذ صغره بالذكاء و القدرة على الاستيعاب كتب في الصحف الناطقة بالفرنسية منها صوت التونسي التي كان يحررها و صحف أخرى للحزب الحر الدستوري التونسي ، درس الحركة الوطنية التونسية و آلف حولها 03 أجزاء، انظر : الزمرلي ، مرجع سابق ص 345.

[2]–عالجت موضوعات اجتماعية لاقتصادية لم يتمكن أصحاب الطبقة الأولى من معالجتها ، شجعت الصناعة الوطنية فصنع سياسة فتح تونس للبضائع الفرنسية التفرقة بين التونسيين و الفرنسيين ، تحرير المرأة ،
انظر: جلال يحي، المغرب الكبير الفترة المعاصرة و حركات التحرير و الاستقلال ، ج3 ، الدار القومية للطباعة النشر 1966 م مرجع سابق ، ص 1080

[3]–الحبيب بورقيبة : ولد سنة 1903 من عائلة متواضعة تلقى علومه في تونس و فرنسا حصل على شهادة الثانوية و إجازة الحقوق من جامعة باريس عاد إلى تونس ليمارس المحاماة و يناضل في صفوف الحزب الدستوري في عام 1958 نالت تونس استقلالها و انتخب بورقيبة أول رئيس للجمهورية في تونس ، أنظر : مفيد الزيدي ، مرجع سابق ، ص 235 ، 236

[4]–جلال يحي ، مرجع سابق ،ص 1080.

[5]–محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 109.

[6] –شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 97.

[7]–عبد الله ، مرجع سابق ، ص 58.

وقد كتب الحبيب بورقيبة في العمل التونسي يقول : " ... فسياسة التنجيس هي أيضا وسيلة للإسراع بتفتيت الشعب التونسي و هي تضاف إلى سياسة الاستلاب و التفقير الرامية إلى إضعافه و حرمانه من وسائل المقاومة ... " و قد انتشرت المظاهرات بكامل أنحاء البلاد[1].

لما رأت اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي ما أحرزه هؤلاء الشباب من نجاح عقد مؤتمرا وطنيا في تونس يومي 12 و 13 ماي 1933 م قرر فيه ضم أعضاء هيئة تحرير جريدة "العمل التونسي " [2] و قد عرف بمآثر الجبل من اجل تحديد أهداف الحركة الوطنية و هي العمل لتحرير الشعب التونسي و إعطاء البلاد نظاما دستوريا سليما يحفظ الشخصية التونسية و يحقق سيادة الشعب [8] و لم يمر على وجود العمل 07 أشهر حتى نشبت الخلافات[9] بين الطرفين لعدة أسباب :

الصراع على قيادة الحزب ، فقد وجد "محمود الماطري[10] " و رفاقه أن اللجنة التنفيذية للحزب بعد غياب الثعالبي لم تعد مؤهلة للقيادة، لذا أرادوا أن تقود جماعتهم الحزب[11] و قد أدى الخلاف بين زعماء الحزب الدستوري إلى تقديم الحبيب بورقيبة و رفقائه استقالتهم في 09 سبتمبر 1933 [12]

---

[1] –شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 99.

[2] – قدادرة ، مرجع سابق ، ص ص 129– 130.

[8]–الجمل ، مرجع سابق ، ص 414.

[9]– إن انجح عملية قامت بها الإقامة العامة الفرنسية هي محاولة الوصول إلى التفريق بين العناصر الدستورية التقليدية العربية الإسلامية ، و بين العناصر الشابة ذات الثقافة الفرنسية الحديثة و أدى ذلك إلى ظهور الحزب الحر الدستوري التونسي .أنظر :جلال يحي ، مرجع سابق ، ص 1081.

[10]– محمود الماطري (1897– 1972) درس في الصادقية ثم اشتغل معلما في سنة 1916 انخرط بكلية الطب بباريس تحصل سنة 1926 على الدكتوراه في الطب شارك في مؤتمر قصر الهلال الذي اصفر عن اشتقاق الحركة ، و انتخب رئيسا للحزب الدستوري الجديد ، انظر : الزمرلي مرجع سابق ص 355.

[11]– عبد الله ، مرجع سابق، ص 59.

[12]–الجمل ، مرجع سابق ، ص 416.

-الصراع بين القديم والجديد :

إذا كان عبد العزيز الثعالبي قد بنى الحزب الدستوري التونسي على أسس فكرية ستمده من الفكر السلفي الإصلاحي (جمال الدين الأفغاني و محمد عبده) فان من جاؤا بعده فقد ربطوا نضال الحزب بما قد درسوه في أوروبا و ما تربوا عليه من فكر غربي ، و بذلك فان الاختلاف في الثقافة أدى بالاختلاف في أسلوب العمل :

-فجيل الشباب متطلع نحو الاقتباس و التجديد من الحضارة الغربية

-أما جيل الشيوخ فطريقته في الكفاح تقوم أساسا على الاحتجاج و نشر المقالات المطلوبة في الصحف.

لهذا فان هذا الأسلوب لم يعد يرضي هؤلاء الشباب و قد ولد لهم نفور من هذه الأساليب التي كانت تسير عليها قيادة الحزب خاصة بعد ضعفه و بعد نفي زعيمه الشيخ الثعالبي [1] و قد عقد هؤلاء الشباب مؤتمر قصر الهلال في 02 مارس 1934 م لبحث أوضاع الحزب و قد اصدر المؤتمر قرارات هي :

-عدم صلاحية اللجنة التنفيذية الحالية للحزب في إدارة شؤون الحزب

-فصل أعضائها من الحزب لعدم كفاءتهم

-إعادة تنظيم الحزب الدستوري على أسس جديدة

وانتخب محمود الماطري رئيسا للحزب و الحبيب بورقيبة أمينا عاما و أعلنوا عن تأسيس الحزب الدستوري الجديد و هو الحزب الذي سيقود الحركة الوطنية في تونس حتى يتحقق الاستقلال [2] ، إلا إن اللجنة التنفيذية رفضت مطالب المنشقين و بذلك أصبح هناك قسمين : الحزب الدستوري القديم و الحزب الدستوري الجديد [3]وقد لجا أعضاء اللجنة التنفيذية القدامى إلى عدة حجج لتشويه صمعة و صورة جماعة " بورقيبة " أما الشباب الدستوري فقد استغلوا بعض الآيات القرآنية منها الآية الكريمة " يا أيها الذين امنوا إن جاءكم فاسق

---

[1] -عبد الله ، مرجع سابق ، ص 61.

[2] – الجمل ، مرجع سابق ، ص 416.

[3] – الزيدي ، مرجع سابق ، ص 235.

بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " ،سورة الحجرات ، الآية 14 [1].

أدى هذا الانشقاق إلى حدوث تصدع كبير في الجبهة الوطنية التي كانت تجتمع كلها في صف واحد وانحاز فريق كبير من الرأي العام إلى الفئة الجديدة و قد أخذت هذه الفئة على عاتقها المواثيق للسير على البرنامج الذي خلفه عبد العزيز الثعالبي قبل نفيه و هو يرمي إلى عدم الاعتراف بمعاهدة الحماية و العمل على استقلال البلاد، و قد غلبت الحماسة على القضية التونسية ، لكن هذه الحماسة عوض أن تهتم بالعمل الثوري التحرري توزعت بين مؤيد و معارض للمتخاصمين [2].

بقي الثعالبي لا يعرف حقيقة هذا الصراع أمام الدعايات القائمة بين الطرفين الشيوخ و الشبان و قد عقد العزم على دراسة موقف الفريقين المتنازعين دراسة مباشرة عند عودته و كان يعتقد أن عودته ستقضي على هذا الخلاف و سيعود الجميع تحت لوائه، [3]في سنة 1936 قامت الإدارة الفرنسية بتغيير المقيم العام الفرنسي بتونس و أعقب ذلك قرار الإفراج عن المعتقلين السياسيين [4].

الثعالبي محاولة إصلاحه :

بعد أن تم العفو عن جميع المعتقلين السياسيين و المبعدين سنة 1936 م شمل هذا العفو عبد العزيز الثعالبي و عندما تسرب نبأ عودته إلى تونس عمت الفرحة جميع أفراد الشعب التونسي كما استبشرت قيادة الحزب الدستوري الجديد بذلك [5] فبورقيبة عندما انشق عن الحزب طمع في تأييد الزعيم عبد العزيز الثعالبي [6].

---

[1] – سورة الحجرات ، الآية 14 .

[2] – عبد العزيز الثعالبي ،الكلمة الحاسمة، عرض و تقديم و تعليق: حسن احمد الجغام، منشورات دار المعارف للطابعة والنشر سوسة، تونس 1989 م ص 14 .

[3] – نفسه ،ص 18.

[4] –الجمل ، مرجع سابق ، ص 416.

[5] –عبد الله ، مرجع سابق ،ص 64.

[6] – الثعالبي ،الكلمة الحاسمة ، مصدر سابق، ص 17.

قرر الثعالبي العودة إلى أرض الوطن [1]حيث لم يتفرغ لحقيق سعادة شخصية أو عائلية[2] بل ليخوض في حلبة الصراع التي كانت الحركة الوطنية التونسية تخوض غماره آنذاك فقد كان همه الوحيد و الأساسي هو توحيد صفوف الحركة الوطنية و كان خطابه الأول : " لست ثائرا و لكني طالب حق و إنصاف أريد أن أنصف نفسي و أثأر لكرامتي و هذا ما أدعوا إليه الشعب التونسي فالذي ينقصنا ليس العلم و المادة بل هي الإرادة ، سلبت ثروتنا و ملكنا و عزتنا و لم يبق لنا إلا أخر معقل و هو الإيمان"[3] .

بعد نزول الثعالبي في تونس طلب منه أن يصرح للصحافة حول موضوع الخلاف بين الحزب القديم و الحزب الجديد فكان رأيه "ليس لي ما أقوله إلا بعد إجراء الحوار بين الطرفين" و كانت هذه فينظر الحزب الدستوري الجديد انه لا يزال متمسكا بالحزب القديم ، أول ما قام به هو الاتصال بالشقين و محاولة التوفيق بينها [4] .

و قد عقد العديد من الاجتماعات معهم و أول اجتماع كان يوم 03 أوت 1937 م و قد انعقد هذا الاجتماع من الهيئتين السياستين للحزب الدستوري التونسي تحت رئاسة الثعالبي وفي منزله من اجل إزالة الخلاف بينهما وقد تلتها اجتماعات أخرى[5] ، وما يظهر من ذلك أن اللجنة التنفيذية كانت تبدوا عليها الاطمئنان التام للوفاق ، أما الحزب الدستوري الجديد فقد كان ينبذ الوفاق وإبعاد الرغبة والتلاعب بالكلمات [6] .

---

[1] –انظر ملحق :الوثيقة رقم 04 ص111.

[2] –يقول الثعالبي : " لم أسئ إلى مخلوق قط إلا زوجتي فقد اقترنت بها منذ 23 سنة و لم امكث معها غير 5 سنوات أما ما تبقى فقد قضيته في النفي و السجن حتى هذه السنوات الخمس لم أكن خالصا لها فان الحركة الوطنية التي اشتغل بها كانت شغلي الشاغل ...لقد احتملت معي أقصى ما تحتمله امرأة في الوجود لقد غادرتها رجلا في مطلع قوته و ها أنا ذا اعو داليها و قد اشتعل راسي شيبا . أنظر : الخرفي، مرجع سابق، ص ص .50–51

[3] –الذوادي ، مرجع سابق ، ص17.

[4]–عبد الله، مرجع سابق، ص 64.

[5]–الثعالبي ، الكلمة ... ، مصدر سابق ، ص 44

[6] – نفسه ، ص .59.

وخاصة الحبيب بورقيبة[1] الذي كان يقوم بالمناورات والمراوغة والهرب من أي محاولة تستهدف التوحيد بين شطري الحزب.

واعتبر الثعالبي مواقف حزب الدستوري الجديد من توحيد الحركة الوطنية غير جدية وغير ايجابية ، وكما انه الباعث الأول للحركة الوطنية ، فلا زال لديه رصيدا لدى جماهير الشعب التونسي وكلمة لا ترد في الأوساط الوطنية ، وبذلك بدأ بالاتصال المباشر بالشعب لتكون له الكلمة الفاصلة[2] .

إلا أن عناصر الحبيب بورقيبة تحركت لمنع الثعالبي من هذا الحق الطبيعي ، وإفساد كل محاولة اتصال بالشعب ، ورغم ما تعرض له الثعالبي من اعتداءات فقد قام بالجولات التي استخلص منها عدة حقائق من بينها إصرار بورقيبة وجماعته على الانشقاق فأدى ذلك إلى نكبة الأمة وتهديد وحدتها وإشعال الحرب الأهلية فيها [3]وأول اجتماع لعبد العزيز لثعالبي خارج العاصمة كان اجتماع مدينة ماطر [4] لكن الحزب الجديد استعد لإفساد هذا الاجتماع ووقع إطلاق الرصاص أثناء الاجتماع وعلى سيارة الثعالبي مما سبب في مقتل شخصيتين من أنصار الثعالبي[5] .

بالرغم من المساعي التي بذلها عبد العزيز الثعالبي من خلال الاجتماعات مع شعبي الحزب، ولجان المختلفة التي شكلها هذا النزاع والتي ضمت شخصيات دينية وسياسية وثقافية لها وزنها ومكانتها لدى الأمة العربية والإسلامية ومنهم :

---

[1] - كان عبد الثعالبي بها إلى الاستقلال ، لكن شخصية بورقيبة أثرت في هذه المحاولة وأدت إلى فشلها إذ انه كان في وسعه أن يكتل جهوده مع غيره ، بدلا من أن يتجه صوبا فرنسا ويصر على استمرار المقاطعة ، انظر ، جلال يحي ، مرجع سابق ،ص. 1084 .

[2]–عبد الله ، مرجع سابق ،ص 64.

[3]–الثعالبي ، الكلمة ... ، مصدر سابق ، ص 20.

[4]–دعوة الوفاق لم تتغير بل تطورت في ماطر إلى جموع مسلحة سيقت إليها باجة وبنزرت وسوق الأربعاء من المجرمين الذين اصطفتهم عصابة الديوان السياسي وكانت تترقب السيارة التي اركبها لأنها مأمورة بالفتك بي والقضاء علي . انظر :مصدر نفسه ، ص67

[5]–عبد الله ، مرجع سابق ،ص 65.

عبد الحميد ابن باريس [1] وأحمد توفيق المدني ، إلا أن هذه المساعي لم تجد نفعا لتصوب رأي الفريقين[2] وقد باءت مساعي التوحيد بالفشل ، وانحاز الثعالبي إلى اللجنة التنفيذية [3] ، لكن هذه المرة لم يهاجر ، بل ظل يطوف في البلاد، وكان يستقبل بحرارة في كل مكان يحل به ، وكاد الأمر يحسم لصالحه لولا أحداث 09-04-1938 التي أفسدت عليه كثير من المكاسب لصالح الأمة ، وإذا أعلن الاحتلال حالة الحصار في البلاد كما عطلت جميع الصحف العربية والفرنسية ، وبالرغم من ذلك فقد بقي الثعالبي يجاهد من اجل الأمة ولم يرهبه سجون المحتل وكيد العملاء .

وبعد صراع طويل ضد الاحتلال ، أوى هذه المرة إلى بيته متفرغا إلى التأليف ، والتحدث عن العلوم والمسائل العامة [4] إلى أن توفي سنة 1944 م.

---

[1]-عبد الحميد بن باديس : زعيم الحركة الإصلاحية في الجزائر ومؤسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائر بين سنة 1931 م ورئيسها حتى وفاته درس بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية بتونس وله في الإصلاح يد عليا فيعتبر ، مربيا ، ومعلما ، ومحاضرا ، وخطيبا ، وكاتبا وهو من رواد الصحافة الوطنية الجزائرية ، انظر : الخرفي ، مرجع سابق، ص ص .39 ، 40.

[2] – قدادرة ، مرجع سابق ، ص 146.

[3] -شاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص. 109.

[4] -عبد الرحيم الخليفي ، مقال سابق ،ص 55.

الفصل الرابع

عبد العزيز الثعالبي والمشرق

المبحث الأول : نشاطه في المشرق

المبحث الثاني : علاقته ببعض الرواد الجزائريين بعد عودته من المشرق

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره

تعتبر هذه المرحلة من حياة عبد العزيز الثعالبي من أخص مراحل حياته فقد أمضى 15 عاما في الهجرة بعيدا عن تونس وإن كان قد عايش قضتها يوما بعد يوم، وكان جهاده كله موجها إلى التعريف بها وكشف اللثام عن جرائم الاستعمار الفرنسي، كما شارك في انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس وكان يمثل الذراع الأيمن لأمين الحسيني من أجل التصدي لكل مؤامرات الصهاينة لتهويد القدس كما اهتم عبد العزيز الثعالبي بالقضايا عصره والتي كانت تمثل مدار نقاش كالمرأة والطرق الصوفية وكذلك نظرته للاستعمار، وكما كان يتطلع أيضا إلى الدعوة الإسلامية العامة ومشاركة قادة اليقظة الإسلامية في دراسة العالم الإسلامي فقمنا بتقييم هذا الفصل إلى ثلاث مباحث .

المبحث الأول تناولنا فيه نشاط الثعالبي في المشرق ، أما فيما يخص المبحث الثاني فخصصناه لعلاقة الثعالبي ببعض الروادالجزائريين اثر عودته من المشرق ، أما المبحث الثالث تناولنا فيه عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره والتي كانت مدار نقاش في تونس .

المبحث الأول : نشاط الثعالبي في المشرق

كان لعبد العزيز الثعالبي عدة نشاطات في جميع أقطارالأمة العربية، خاصة دول المشرق العربي التي كان يهدف من وراءها إلى التعريف بالقضية التونسية وكذلك إصلاح حال الأمة العربية الإسلامية وإيجاد حلول لمختلف قضاياه .

أ –عبد العزيز الثعالبي في اليمن :

قام عبد العزيز ثعالبي برحلة إلى اليمن امتدت من 12 أغسطس إلى 17 أكتوبر 1924م حيث وصف الثعالبي هذه الرحلة باالتفصيل على غرار بعض الرحالة العرب السابقين، فقد أطنب الحديث عن مشاهداته الدقيقة وملاحظته الطريفة طوال سفره من عدن إلى صنعاء ذهابا وإيابا،ولم تفته شاردة ولا واردة، حيث أنه وصف جميع المدن و القرى التي مر بها و المناظر الطبيعية التي شاهدها وكذلك تحدث عن الأخطار التي تعرض لها خلال هذه الرحلة [1].

كان الثعالبي يسعى إلى توحيد أمراء القبائل اليمنية حيث اجتمع مع إمام يحي حميد الدين في صنعاء يوم 02 سبتمبر 1924م من أجل تحقيق الوحدة و ذلك بعقد مؤتمر و التحدث عن الوسائل التي يمكن اتخاذها لإيصال الدعوة و طرح بعض المواضيع الخاصة بالس اسة اليمن . حيث إتفقوا على تحرير الدعوة وكتابة نسخ منها بعدد الأمراء المدعوين ثم تكلموا بعد ذلك عن سياسة اليمن وموقفهم من إيزاء إنجليترا لأنها لم تعترف به ولا بحكومته وهي تحول بينه وبين الدول [2].

حيث استطاع الثعالبي إقناع الأطراف اليمنية بالموافقة على عقد المؤتمر الوطني إلا أن نقطة الخلاف ظلت قائمة بخصوص تمسك هذه الأطراف باستقلالها عن صنعاء حيث يقولون تحادثت مع كثيرين من أقبال اليمن و أصحاب السلطات بتلك الأطراف و كلهم قبلوا الفكرة مبدئيا و لكن نقطة الخلاف على ما يظهر لي كانت أنهم يريدون أن يتفقوا مع اليمن في السياسة الخارجية و الدفاع عن البلاد لكنهم يريدون أن يبقى استقلالهم الداخلي وبعبارة أخرى يريدون إيجاد نظام اتحادي بشرط أن تستقر الحكومة اليمن و يستقر التعاون لكي يضمن حق البلاد[3]

حيث قام بتأسيس نادي الأدب العربي في عدن[4]

أما بالنسبة للمجهدات الإصلاحية التي قام بها الثعالبي المصالحة بين الإيمان ""يحي"" و الملك عبد العزيز بن سعود حث قال الثعالبي في كتابه الرحلة اليمنية و بهذا الأسلوب استطعت أن أخفض ما أمكن بصلابة رأي الإمام حتى جعلته رهن الوفاق و حررت له ذلك ثبتا سلكت مسلكا تجنبت فيه قصدا

---

[1] – الثعالبي،الرسالة...، مصدر سابق، ص ص، 13،14.

[2] – المصدر نفسه،ص 99.

[3] – رحاي محمد، "الأبعاد الثقافية السياسية لحركتي عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي" ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ جامعة منتوري ، قسنطينة، 2004 / 2005 ص98 .

[4] – الجندي، مرجع سابق، ص68.

و ذلك من أجل أن يتعرف جلالة الملك ابن سعود لعظمة الإمام يحي بحق السيادة إلى إمارة الأدارسة[1].

- رحلة عبد العزيز إلى العراق:

بفضل الجهاد عبد العزيز الثعالبي في سبيل العروبة و الإسلام و ذلك نتيجة لما كان ينشر في الصحف العالمية خاصة العراقية حيث قررت حكومة العراق بذلك الوقت برئاسة ياسين الهاشمي لتوجيه دعوة [2] له لزيارة العراق [3].

عند وصول الثعالبي إلى بغداد استقبلته بالترحيب و التأهيل و ذلك في احتفال كريم انشد فيه الشاعر المشهور"" معروف الرصافي ""[4].قصيدة جميلة في الثناء عليه، حيث حل الثعالبي في فندق واستأجرت له الحكومة دارا صغيرة تقع مكين وزارة الدفاع ومسكن الملك [5] وعينه الملك فيصل أستاذا محاضرا من سنة 1926م إلى سنة 1930م في بغداد بجامعة أل البي ت [6] حيث كان مكلفا بتدريس الفلسفة الإسلامية

وحكمة التشريع في الشعبة الدينية العالية [7].

إن إختياره العراق كان لمكانة هذا البلد في وجدانه ولأسباب سياسية أيضا، فقد كان يأمل أن يجد هناك متنفسا للحركة و التخطيط و الإستفادة من تجربة البلاد[8]. وقال ""الثعالبي"" وهو يتحدث عن العراق " العراق بلاد غنية لها مستقبل حسن إذا وجدت الأيدي التي تساعد على استثمار منابع الثروة الغزيرة فيها فالعراق يصح أن يكون من خير مشاقي العالم، إذ يتيسر إقامة فنادق على شاطئ ال فرات وجعلها قبلة السائحين الأوروبيين والأمريكيين[9].

---

[1] – الثعالبي، الرحلة ... ، مصدر سابق، ص 173.

[2] – و يبدو أن هذه الدعوى كانت بإيعاز من الملك فيصل الذي تعرف عليه في اسطنبول، كما تعرف به هناك، جميل صدقي الزهاوي، و معروف الرصافي و غيرهم من رجال العراق، (أنظر: الجندي، مرجع السابق، ص ص 217،218).

[3] – محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ص217.

[4] – معروف الرصافي (1875–1945) هو أديب و شاعر عراقي ولد ببغداد، درس بالمدرسة الراشدية العسكرية ثم عين معلما بالمدرسة الابتدائية ثم أستاذ اللغة العربية بالإعدادية (أنظر: يزير ،مرجع سابق، ص80).

[5] – الجندي، مرجع سبق، ص 110 .

[6] – جامعة آل البيت: هي كناية عن معهد فقهي صغير أنشأ في سنة 1924م ولم يزد طلبته في أحسن أحواله على 50 طالبا أنشأه الملك فيصل لغرض سياسي خاص إقتضته أحوال زمانه ثم سرعان ما وضعت في طريقه العراقيل و الأشواك بدوافع سياسية خفية .أنظر: الثعالبي، الرسالة ... ،مصدر سابق،ص 7.

7– الثعالبي، محاضرات ...،مصدر سابق،ص5

8– عبد الرحيم الخليفي،مقال سابق،ص 47

9– الجندي ،مرجع سابق،ص70.

حضي الثعالبي من جلالة الملك فيصل بمكانة عالية [1]فطالما كان رسولا بين كبراء العراق كلما جد الجد وقامت الأزمات الداخلية خاصة بين الأحزاب المحلية ، كما حضي من الشعب العراقي كل الاحترام والتقدير فقد كانوا يتحدثون عن هذا الزائر الكريم الذي جاء إلى العراق بعد أن شرق و غرب وكانوا يعظمونه ويفسحون له في الطريق عندما يخرج من داره وكانت له علاقات طيبة مع كبار الأساتذة و الشعراء هناك وله في قلوبهم منزلة عظيمة وجليل ،ويروي طلابه في الجامعة أنه كان حيويا نشطا قوي الشخصية وكان يروي لهم مشاهداته في تركيا و الهند وأطار أقطار الجزيرة العربية [2].

لقد عرف الثعالبي أثناء إقامته في العراق نوعا من الإستقرار النسبي براتب شهري مقدر ووظيفة علمية عالية،تستجيب بقدراته ومقام مرموق في ملك البلاد كما حضي بمكانة عليا لدى القوم وبين أدبائها ومفكريها ،لكن الإستعمار الإنجليزي في العراق لم يترك للثعالبي طعم الهدوء و السكينة فأغلقت جامعة آل البيت بأمر من الحاكم البريطاني وملك البلاد معترض على إغلاقها،وقام بترتيب وظيفة لصديقه الثعالبي تابعة لبغداد،فبعثه مراقبا للبعثات العلمية العراقية في مصر.

وهكذا إنطوت صفحة الثعالبي في بغداد بعد سنوات خمس حافلة باالعطاء الفكري و الفيض القلمي و الحضور الإجتماعي [3]

رحلة الثعالبي إلى الهند:

أما عن رحلة الثعالبي إلى الهند فإن الحديث عنها طليا فيضا، فقد ذهب الثعالبي حوالي خمس مرات إلى الهند ، وقد سأله مندوبا عن سر شغفه ببلاد الهند الذي يحمله على زيارتها للمرة الخامسة "فإبتسم "وقال "الهند بلاد جميلة، والجمال نوعا من السحر الذي لا سر فيه، لقد ذهبت إلى الهند في رحالاتي إلى الشرق الأقصى وكنت في كل مرة كلما أعود منها أشعر بنوع من الحنين إليها والشفق بالرجوع إليها، وقال أيضا لم أجد بيئة تجتمع فيها الغرائب وتضطرم فيها العقائد وتنصهر فيها النفس الإنسانية مثلما يوجد في الهند " [4].

---

[1] عندما ذهب إلى العراق سنة 1926م إحتفل به صديقه الحميم فيصل بن الحسين الذي صار ملكا على العراق وعندما كان فيصل عضو بمجلس (المبعوثان) إتخذ الثعالبي مستشارا خاصا له وكانت كل قرارته في المسائل الهامة تصدر عن رأيه ومنشورته .أنظر: الثعالبي، الرسالة ...،ص 7

[2] عبد الرحيم الخليفي،مقال سابق، ص 50

[2] عبد الرحيم الخليفي،مقال سابق، ص 50

[3] الثعالبي،الرسالة ...، مصدر سابق، ص ص 34،35

[4] – الجندي، مرجع سابق ، ص ص 74– 75

توجد طائفة ضئيلة في الهند تسمى المنبوذين حيث تبرمت من وضعيتها، الدينية والسياسية فقرروا لتحول إلى دين أخر لذا اتجهت الأنظار إلى الأزهر الشريف حيث دعى الأزهر العلماء المسلمين إلى قبول السفر إلى الهند فكان الأستاذ الثعالبي

في مقدمتهم [1].إن التكليف الأزهر لثعالبي للقيام نيابة عنه برحلة إلى الهند و الخروج منها بتقرير يكون رائدا لبعثة الأزهر إلى المنطقة ،إنما يدل على المكانة العلمية و الإسلامية التي كان يتمتع بها الثعالبي في نظر أعرق مؤسسة علمية إسلامية كاالأزهر الشريف [2]

قدم الشيخ الثعالبي تقريرا بين فيه أحوال المنبوذين وما يحتاجون إليه وما ينبغي أن يقوم به الأزهر من أجلهم حيث يقول الثعالبي " لقد طفت جميع أقطار الهند باحثا ومستقصيا عن رغبة المنبوذين في الإسلام وعن استعداد المسلمين لقبولهم وبعد الوقوف على المعلومات الدقيقة في الموضوع رأيت أن أضعها في تقرير يسهل دراستها على المسلمين في جميع الأقطار التي يهمها الاشتراك في مسألة المنبوذين [3].

03- رحلة الثعالبي إلى مصر:

رحل الثعالبي إلى مصر بين سنوات (1897- 1902) حيث كانت له رحلات متوالية بين القاهرة والأستانة [4]ومكث في مصر لمدة سنة واحدة [5] درس الشيخ الثعالبي على يد محمد عبد ه في التفسير والمنطق وتعرف على أعلام الفكر آنذاك مثل الشيخ الكواكبي والشيخ (رشيد رضا) .

- كما شارك الثعالبي بفكرة في مصر بتأسيس هيئة التاريخ الإسلامي و التي تنص على إنشاء مراكز لها في جميع البلدان الإسلامية ووقع مراسلين لها لتكون مرجعا و دليل معرفة هذه البلدان و مشاركة الثعالبي في هذه المنظمة لا يعود فقط لقدرته العلمية و الثقافية و إنما كونه أحد المسلمين لهذا السبب اختير التمثيل هذا الجزء. [6]

وفي 1923م عاد الثعالبي إلى مصر وإتصل باالجالية التونسية ، وقد أقام بالقاهرة من جانفي إلى أفريل سنة 1924م [7].وفي الثلاثينات إشتغل عبد العزيز الثعالبي في مصر وظيفة مراقب للبعثات العلمية العراقية في مصر،وكان مع نخبة من زعماء العرب ، داعية الوحدة العربية و المبشر بالجامعة

---

[1] – نفسه،ص 88

[2] – الخرفي، مرجع سابق،ص 363

[3] – كان عبد العزيز الثعالبي في مقدمة المبادرين لذلك لسياق علمه بأحوال الهند لأنه كان كثير الترحال إلى الهند.أنظر: يزير ،مرجع سابق، ص 58

[4] – الجندي، مرجع سابق، ص 28 .

[5] – الثعالبي ،ا لرسالة ...، مصدر سابق، ص 12 .

[6] – يزير ، مرجع سابق، ص 83

[7] – الثعالبي ، الرحلة ... ، مصدر سابق ، ص 13

العربية ،و الواقف وراء تأسيس مجلة (الرابطة العربية) حيث إلتقت على صفحاتها أقلام الدعاة للوحدة العربية وعلى غلاف هذه المجلة نشرت أول خريطة للوطن العربي التي تضمنها شعار (الجامعة العربية) بعد تأسيسها،وقد طرحت هذه المجلة تأسيس إمبراطورية عربية،وكان الثعالبي أول المساهمين بتصوره عن هذا الموضوع ونشرت أجوبة له تحت عنوان (الإمبراطورية العربية التي نبشر بها) . [1]

وقد كان الثعالبي المنتدى و الملتقى لزو عمات التي رصت بها موجة الاضطهاد القاهرة أمثال عبد الرحمان شهيندر بطل الثورة السورية [2] و السلطان باشا الأطرش [3] بطل الدروز و الخضر الحسين [4] رفيقه في النضال السياسي ضد الإستعمار إضافة إلى الشخصيات مصرية،وذلك من أجل الدعوة إلى الوحدة العربية [5].

و نظرا للمكانة الشيخ عبد العزيز في مصر بعد انتهاء مهمته على البعثة الطلابية العراقية قامت القاهرة بتوديعه يوم 27 جوان 1937م،فقد إغتنم فريق من أصدقائه من مقدري جهاده وتضحيته العظيمة في سبيل العروبة والإسلام هذه الفرصة أي فرصة رجوعه إلى وطنه فأقاموا له سلسلة من الحفلات و المآدب،ساهم فيها عدد من كبار القوم ومن أدبائهم وفضلائهم وقد ألقيت خطب كثيرة دالة على سمو مقامه وعظيم مكانته في النفوس.

وكانت أولى هذه الحفلات الحفلة التي أقامتها مجلة الرابطة العربية التي ضمت نخبة كبيرة جدا من أهل العلم و الفضل ورجال السياسة [156]

---

[1] الثعالبي ، الرسالة ...،مصدر سابق، ص ص 37،36

[2] – عبد الرحمان شهيندر: من رجال النهضة العربية الطبيب الخطيب عبد الرحمن بن صالح شهيندر، ولد في دمشق في 1879 مات والده وعمره 6 سنوات، فكفلته أمه وأحسنت تربيته، وإنتمى إلى الجامعة الأمريكية في بيروت 1896م، وواصل دراسته الطب فيها ، إنظم إلى حزب الاتحاد والترقي ثم غادر إلى سوريا ثم ألى مصر ثم عاد إلى الشام وعين وزيرا للخارجية في الحكومة الفيصلية (أنظر: البصري، أعلام ...، مرجع سابق، ص 191) .

[3] – السلطات باشا الأطرش: هو من أل الأطرش أمراء الدروز في أنحاء الجبل و حوارات ولد بالقرية التابعة للمحافظة السويدية للمحافظة السويدية 1891، تعلم في المدرسة القرية، و تمرس الفروسية و اشترك مع والده الإنتفاظه على الأتراك ثم اشترك في ثورة الحجاز الكبرى التي أعلنها الشريف حسين (أنظر مرجع نفسه، 193).

[4] – خضر الحسن: هو مدرس سابق للجامع الزيتونة والمعهد الصادقي فقد هاجر من بلاده نهائيا في شهر ديسمبر 1912 م و استقر في أول الأمر في دمشق و منها أنتقل إلى أستانة حيث باشر خطة تحرير باللغة العربية لأن الحكومة التركية لحلفته بالقيام بالمهمة الخاصة بألمانيا حيث مكث 9 أشهر (أنظر: الساحلي، مرجع سابق ،ص107.)

[5] – الثعالبي الرسالة ...، ص36 .

[6] الخرفي، مرجع سابق،ص 209

يومها قام أمين سعيد [1]رئيس تحرير الرابطة في أرول حفل بتصدر السلسلة من الحافلات، تقيمه مجلة الرابطة العربية حيث خاطب الثعالبي قائلا "فسافر يا سيدي على بركة الله و إني لا أرجو الله أن يمد فيه عمرك المبارك فنحتفل بك في مصر وفي دار مجلة الرابطة العربية التي هي نفحة من نفحاتك فقد شجعتني على إصدارها وكفلتها وكنت نعم العون ونعم النصير"

إنتهت حفلات تكريم الثعالبي بعدما إستمرت 10 أيام،كانت الشغل الشاغل لأبناء القاهرة ورجالها ومفكريها الذين تنافسوا في الحفاوة باالزعيم العربي المسافر وفي أبداء ما يكنونه له من عواطف المودة[2].

رحلة عبد العزيز الثعالبي إلى الجزيرة العربية :

لقد زارالثعالبي مختلف الإمارات والسلطنات في جزيرة العرب حيث قال عنها أن سكان هذه المنطقة بحاجة خاصة إلى العلم لذا قد أسست عدة مدارس من النمط الحديث منها المدرسة السلطانية في مسقط والمحسن الكبير في دبي، ومدرسان في البحرين وحوالي 4 مدارس في الكويت كما توجد عدة نوادي أدبية تلقى فيها الخطب [3]

– رحلته إلى فلسطين و مشاركته في المؤتمر الاسلامي للقدس:

لقد انعقد المؤتمر الإسلامي ببيت المقدس في 27 رجب أي ديسمبر 1931 و دعي إليه أعيان و كبار العالم الإسلامي في جميع الأقطار لينظرفي شؤون المسلمين عامة و للدفاع عن إسلامية بيت المقدس و عروبته مع تزايد التهديدات الصهيونية لفلسطين و القدس، رغم أن المؤتمر لقي معارضة شرسة و ذلك من أجل منع انعقاده وكذلك الحكومة البريطانية التي كانت تخشى أن يتدخل العالم الإسلامي في القضية الفلسطينية [4].

و مع ذلك نجح أمين الحسيني و معه عبد العزيز الثعالبي من تونس و شوكت علي من الهند في جمع 145 شخصية إسلامية من اثنين و عشرون بلدا في المسجد الأقصى المبارك.

و قد كان من أهم مقررات المؤتمر آنذاك المحافظة على البقاع المشرفة بشتى الوسائل، و التصدي لكل مؤامرات الصهاينة لتهويد القدس، و انتخاب لجنة خاصة تطوف على جميع الملوك و الأمراء و

---

[1] – أمين سعيد (1892– 1967) من سوريا ولد باللاذقية، وكان والده صحفيا أنشأ جريدة (اللاذقية) سنة 1908، عاش في مصر وأنشأ فيها مجلة (الرابطة العربية) ثم عاد إلى وطنه في أوائل الحرب العالمية الثانية حيث أنشأ فيها جريدة (الكفاح) 1939، صدر له العديد من المؤلفات في تاريخ العروبة والدول العربية والثورات العربية (أنظر: الخرفي ، مرجع سابق، ص 28

2– نفسه ، ص246

[3] – الجندي، مرجع سابق، ص 71 .

[4] – الساحلي، مرجع سابق، ص 404.

الأثرياء المسلمين لجمع التبرعات على أن يسمى الذين يتبرعون بمبالغ وافية "حماة المسجد الأقصى"وتنقش أسماؤهم في لوحات تعلق في المسجد.

كذلك إنشاء جامعة إسلامية عليا في القدس[1]تفي بحاجة المسلمين في دينهم و دنياهم و تسمى جامعة المسجد الأقصى الإسلامية [2]. بالرغم من انعقاد المؤتمر و صدور القرارات إلا أنه ظهرت حملة ضد المؤتمر الاسلامي في صفحات الجرائد المصرية، و كان وراء هذه الحملة بعض كبار شيوخ الأزهر و كذلك بعض أعضاء الحكومة المصرية [3]، إلا أن أمين الحسيني سارع إلى تكذيب هذه الاشاعات الرائجة حول أغراض المؤتمر و ذلك بمساعدة الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كان بمثابة عضده الأيمن في هذه القضية [4].

لقد قام المؤتمر الاسلامي بدور عظيم و هو تعميم فكرة التعاون بين المسلمين، أما قضية توحيد الكيان فتحتاج إلى أن يغض العاملون لها، كما يدعو هذا المؤتمر إلى بحث منهاج للدراسة العربية المشتركة في البلدان العربية، كما يدعو إلى استغلال رؤوس أموالنا في المناطق الصالحة و الهامة مثل الخليج الفارسي و اليمن و الحجاز[5].

المبحث الثالث: علاقته ببعض الرواد الجزائريين بعد عودته من المشرق

أن التواصل الطبيعي والثقافي بين الجزائر وتونس وارتباط النخبة الإصلاحية بالزيتونة منذ وقت مبكر أي في مع القرن 20 أدى إلى تور العلاقة بين مختلف الشخصيات التونسية والجزائر وزيارات متبادلة ونشاط صحفي دؤوب ، وهذا مل يرجح لنا التجاوب الكبير بين عناصر النخبة الاصلاحية الجزائرية والنخبة التونسية بمختلف أشكالها ومن بين الرحلات نذكر منها .

أ – الشيخ عبد الحميد بن باديس

في مطلع القرن 20 عاش ابن باديس في تونس ودرس كطالب في جامع الزيتونة حيث تأثر بالحركة الصحفية خاصة جريدة التونسي (1909) لعلي باشا حامية وهنا تعرف على الثعالبي كما عايش أيضا أحداث الزلاج 1911/11/07م ، وأحداث التراموای 1912/02/09 ، وكل هذه الأحداث أثرت في ابن

---

[1] –حيث تناولت قضية فلسطين برمتها على اعتبار أنها قضية إسلامية من الواجب تنبيه العالم الإسلامي إليها و تبصره بالأخطار المحدقة بها و دعوته إلى القيام بواجبه نحوها. أنظر:محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج1، المطبعة العصرية، لبنان،1378ه/1959، ص89).

[2] – عبد العزيز الثعالبي، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ، إعداد: أحمد بن ميلاد ،تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي، ط1، دارا لغرب الإسلامي ، بيروت 1988م ، ص 30.

[3] – قد أوضح الثعالبي في كتابه خلفيات المؤتمر الإسلامي في الباب الأول عن جهوده الجبارة التي بذلها و المساعي الحثيثة التي قام بها في مصر بلسانه وقلمه للدفاع عن المؤتمر الإسلامي وإحباط مؤامرات المعارضين له و قد تمكن في آخر الأمر من إقناع المصريين بأن الغاية الأساسية من عقد المؤتمر هو الدفاع عن حقوق العرب في فلسطين . أنظر: الساحلي، مرجع سابق، ص 404).

[4] –المرجع نفسه، 405.

[5] – الخرفي، مرجع سابق، ص 93.

باديس لذلك اكتسب قيم النضال وربما تكون هذه المرحلة هي التي ايقضت لديه البعد الإصلاحي والديني المرتبط بالوعي السياسي [1].

عند إقامة الجمعية الخلدونية احتفالا لذكرى وفاة البشير صفر القي عبد الحميد بن باديس محاضرة وهذا " **وانا شخصيا اصرح بان كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم الغريزة العلم هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ امتي وقومي والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت في اليوم لان أكون جنديا من جنود الجزائر**[2]"

أما الرحلة الثانية كانت يوم 22 جويلية 1937 وهي نفس السنة التي عاد فيها الثعالبي بعد 15 ، حيث لهم علاقات كبيرة لان الثعالبي كان مهما جددا بالنهضة العلمية والتربوية بالجزائر بزعامة ابن باديس لكن الحكومة الفرنسية عارضت هذه الزيادة خوفا من تطور العلاقة بين البلدين ، حيث تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا في الأوساط التونسية والجزائر [3] .

حيث رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قدومه اعتزاز الإصلاح الاجتماعي الإسلامي من ناحية الفكر والعلم والأخلاق والسلوك في الحياة ، سارعت بتهنئة الأمة التونسية الشقيقة حيث عبرت عن سرورها بقدومه وإعجابها بمواهبه وتهنئته بقدومه وإبلاغه كل ما تحمله الجمعية والجزائر العربية المسلمة من حب واحترام وتعظيم ، حيث ذهب يوم الخميس 14 جمادي الأولى إلى تونس وزار الثعالبي في داره وبلغه عن الجمعية رسالتها فقابلها بالشكر والثناء وتلقاها بالفرح والسرور ، حيث قال انتهت بهذه المقابلة مهنتي كرئيس للجمعية وموقد من طرفها ، وكانت بعد ذلك المجالس والاجتماعات والحفلات والزيارات في دار الشيخ وغيرها وكنت فيها كجندي بسيط من جنود العروبة والإسلام [4].

و في جريدة الأسبوع في فقرة عن الثعالبي لشيخ عبد الحميد بن باديس سنة (1937)

" عبد العزيز الثعالبي كذا اذكره دون لقب أو صفة فان هذا الاسم لم يبق علما ذات شخصية تحتاج إلى صفاتها و ألقابها بل صار في أذهان الناس علما على الرجولة و البطولة و الزعامة و على التفكير و العمل و التضحية و على الإسلام و العروبة و على وحد افريقية ، فاذا قات " عبد العزيز الثعالبي " فقد قلت هذا كله [5]

أن فكرة فيدرالية الشعوب لشمال إفريقيا التي وجدت منذ مدة و كان يعمل لصالحها الثعالبي تستعيد روحها اليوم و يتبناها ابن باديس و بالتالي يمكن للثعالبي أن يبعث مشروعه القديم و مندون شك أن

---

[1]– سعد الله ، تاريخ الجزائر ... ، ، ص 600 .

[2]–عبد الحميد بن باديس ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ج4 ، ط1 دار البعث الجزائر ،1406 هـ. ص312.

[3]– سعد الله ، تاريخ الجزائر ... ، ص ص 600، 601 .

[4] –الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مجلة الشهاب مجلة إسلامية جزائرية ، ج7 ، م 13 ، قسنطينة 1343 هـ ص ص353–354.

[5]–الخرفي ، مرجع سابق ، ص 15 .

مؤسسي الحزب الدستوري الذي يعد توفيق المدني من عناصره الأساسين و في نفس الوقت المستشار السياسي للشيخ عبد الحميد ابن باديس و من ثم يمكن أن تكون هذه الفكرة محل اهتمامه أثناء تواجده بتونس [1]

كان لعبد الحميد ابن باديس لقاء مع صديقه الطيب بن عيسى صاحب جريدة الوزير و بعض الزعماء أمثال الماطري و الحبيب بورقيبة من الحزب الدستوري الجديد و التقى بشخصيات أخرى أمثال خليفة محمد العيد بن خليفة

و كان لعبد الحميد من خلال هذه الزيارة ثلاث أهداف تنظم العلاقات مع علماء تونس و تكوين فريق بين الأحزاب الوطنية في البلدين و قطع الطريق لتمثيل الجزائريين الذين يناضلون ضمن مشروع بلوم فيوليث[2]

ب أحمد توفيق المدني

هو شخص معروف بأصوله الجزائرية حيث ولد في الأشهر الأخيرة من القرن الماضي هو من كرام المجاهدين المهاجرين الجزائريين اقتحم ميادين الحياة بروح ثائرة و منهاج علمي ناضل و جاهد و سجن ثم نفي حيث أنشأ وزارة كانت مثالية درس بجامع الزيتونة و المدرسة الخلدونية بالعاصمة تونس حيث كانت الخلدونية بؤرة الأفكار الوطنية و الاتجاهات التحررية و خاصة محاضرات البشير صفر الذي يتميز بالروح الوطنية و الذي يعتبر من بناء تونس الحديثة [3]

و قد كانت له زيارة في 1830 م لتونس صاحبه فيها أبو اليقظان و بعد 1933 كرر الزيارة أيضا عند نهاية الحرب العالمية الثانية و التي أعقبها اعتقال زعماء الحركة الوطنية بينما بقي هو خارج السجن[4]

لقد خصص جائزة سنوية لأحسن مؤلف في شمال إفريقيا سماها جائزة المنصور و يتم تكوينه الديني الإصلاحي فانه اندمج بسرعة في التيار الإصلاحي الجزائري و صاد له مقام محترم [5].

قام برسم مستقبل العلاقات القائمة بين الإصلاح الجزائري وقضية تونس وكان نشاط المدني وانصهاره في الحركة الإصلاحية الجزائرية،كما ساهم في الربط بين تونس و الجزائر وقد قال فيه الشاعر مفدى زكريا في المنفى.

---

[1]–حميدي أبوبكر الصديق " قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية من 1954/1920 " أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، الجزائر 2011 ، ص 255 .

[2] –أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ج 4 ، مصدر سابق ، ص 317

[3] – احمد توفيق المدني مذكرات...،ج1، مصدر سابق، ص 17

[4] –حميدي ، مرجع سابق، ص 263

[5] – الثعالبي،سقوط ...، مصدر سابق، ص 330

لستم اليوم تكرموا نزيلا بعد منفاه ففي البلاد استقراء
فهو من صلبها وإن تحسبوا تونسيا أن الجزائر خضراء
أبعدوه فقربوه وبعد الدار قرب أصبح الذل كفرا [1]

ج-**الشيخ الإبراهيمي**

- أما الإبراهيمي فلم يدرس بالزيتونة و أول اتصال كان له بتونس و الزيتونة يعود إلى إقامة أسرته بالمدينة المنورة حيث درس على يد احد علماء الزيتونة (الشيخ محمد عبد العزيز الوزير) و ترك فيه بصمة علمية حيث اقر الإبراهيمي ذلك " **فانا لم اتخرج من الزيتونة و لم اقرأ فيه حرفا و لكني تخرجت بالمدينة المنورة على أضواء كواكب الزيتونة في وقته مثل محمد العزيز حيث كانت لي بسببه صلة بالزيتونة** " [2]
- كما كان الإبراهيمي يشرف مباشرة على الطلبة الجزائريين في الزيتونة أثناء رئاسته للجمعية و كان كثير الاتصال بهم زو كان أيضا معني بما يجري هناك من من أحداث سياسية و أدبية و فكرية و اجتماعية كما توثقت صلة الإبراهيمي بتونس بقيام معهد ابن باديس الذي صار فرعا للزيتون في البرامج و الامتحانات و المناهج المقررة حيث يشرف على امتحاناته ثلاث من علماء الزيتونة كل سنة [3]

د-**عبد الرحمان اليعلاوي**

نشأ في تونس حيث شب العمل السياسي و خاصة في الأوساط الدستورية حيث اهتم بالكتابة عن النشاط الطلابي الزيتوني حيث دعم مظاهرات في أكتوبر 1922 م كما حرر
حيث تابعته الشرطة الفرنسية لأنه كان يقوم بأعمال غير قانونية مثال الفوضى في جامع الزيتونة كما ادعت انه شخص غير مؤهل للحديث عن القضية التونسية لأنه من أصل جزائري كما كان مكلف بإلقاء محاضرات أسبوعية في نوادي الحزب الدستوري بالعاصمة تونس و خلال إقامته بفرنسا التمثال لافيجري بمدخل مدينة تونس اندلعت أحداث احتجاج في 28 نوفمبر 1925 م حيث قامت فرنسا بإبعاد بعض الاصطلاحين منهم اليعلاوي إلى الجزائر [4].
إلا آن اليعلاوي واصل نشاطه في الجزائر حيث كان ضمن مبعوثي الجمعية للإشراف على نشاطها السياسي لذا فنجد آن نفيه إلى الجزائر قد فتح له فضاء في المجال السياسي و الإصلاحي على مستوى المغرب العربي حيث تكررت زيارته إلى تونس التي تربطه بها ذكريات الفولة و المدرسة الأولى التي

---

[1]– أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1988م،ص 97

[2]–حميدي ، مرجع سابق ،ص 259

[3]–نفسه ص 260، 261

[4] – عبد الرحمان اليعلاوي ، الشهاب ، ج 3 ، ع 118 ، 23 ربيع الثاني 1346 ص ص 23 ، 10 1927 ، ص 4 ، 5

تعلم فيها العلم و الصحافة و السياسة و الإصلاح و كذلك نجده انه كان محافظا لتونس و مدافعا عنها حيث انه كثيرا الاتصال بزعمائها و بأبنائها منهم عبد العزيز الثعالبي[1] .

و بعد نفي اليعلاوي بعث رسالة إلى عبد العزيز الثعالبي و التي عبر له فيها عن أسفه لكونه لم يكن ضمن مستقبليه بعدو داع طويل قائلا له : أن البلاد حزنت لبعدك و اعتقد الاستعمار أن ذلك أخر حجر في هيكل الحزب الدستوري .إن الرجال تعلموا منك الصدق و الوطنية حيث ضحوا بأنفسهم و أموالهم [2]،كان اليعلاوي شديد الاعتزاز با الثعالبي ومقالته "تحية الذكرى" والتي أرسلها من باريس بعد عودة الثعالبي سنة 1937م ونشرت في جريدة "الإرادة" توضح إلى حد بعيد بمكانة مؤسس الدستور عند اليعلاوي ،حيث عاش محافظا على وفائه لتونس،وموطن دراسته ومسرح م مواقفه الوطنية الأولى و التقارير الفرنسية السرية كانت تقول ه[1]ذا الشخص غير مؤهل للحديث عن القضية التونسية لأنه من أصل جزائري "بالرغم من بعد اليعلاوي عن تونس إلا أنه بقي ينشر في الصحافة التونسية حيث نشر في جريدة "مرشد الأمة "و"الإرادة"[3].

ه- أبي اليقظان

رائد في أكثر من مجال من مجالات النهضة العربية الحديثة في المغرب العربي ومؤسس المدارس العربية العصرية الحرة في الجزائر ورائد البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس الخضراء كما يعد من أحد الرواد في بعث الطباعة العربية في الجزائر،وكانت علاقة أبي اليقظان وثيقة باالشيخ الثعالبي حتى هاجر إلى المشرق وقبل مغادرته تونس خطب في تونس حارا أودعه آماله في البعثة ونهضة الجزائر المباركة ولأبي اليقظان أكثر من قصيدة في الحزب الحر الدستوري منها قصيدة بعنوان"الدستور"، ألقاها تحية لثعالبي بعد خروجه من السجن [4].

إن علاقة "أبي اليقظان" بالثعالبي سبقت تأسيس حزب الدستور بسنوات، فهو يروي بداية علاقته به كما يلي، في أواخر ح ع 1 في سنة 1917م أنشأ الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس (جمعية سرية فدائية) غرضها إحداث حركة تحريرية في المغرب الكبير وكان لها فروع في الجزائر وكان لها فروع في الجزائر وكان لها ستة أعضاء من بينهم "أبي اليقظان"،كما يذكر هذا الأخير أن البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس لم تنقطع منذ أوائل ح ع 1 أما الثعالبي كان كثير التردد على مقر هذي البعثة يملي فيها أبحاثه ومقالاته، ويحكم خططه واتصالاته ويطلع على الجزائرية ،ويعقب عليها وكانت هذه البعثة أخرمن دع الثعالبي الوداع الجماعي بتلك الصورة المؤثرة التي ذكرها قبل نزوح الزعيم الدستوري" وكان أبي يقظان قد ساهم في الترويج للحزب الدستوري في الأوساط الميزابية[165]

---

[1] –عبد العزيز الثعالبي ، مصدر سابق ، 329

[2] –حميدي ، مرجع سابق، ص ص 276 ، 277

[3] – الخرفي،مرجع سابق،ص 328

[4] – نفسه ، 429

[5] – حميدي،مرجع سابق،ص ص 243،244

اصطفي الشيخ الثعالبي أبي يقظان فصار يملي عليه مقالاته التي ينشرها في صحف عديدة،فكان يسرع في أغلب أيامه الأسبوعية إلى دار بعثة أبي يقظان مع الضحى فيجلس لقراءة الصحف اليومية، ثم يملي مقالا أو مقالين أو مقالات على أبي اليقظان فيكتبها ،فيستمر عمله حتى الظهر حيث يتغذى الشيخ الثعالبي مع البعثة ثم يستأنف الشيخ بعد الغذاء والشاي وإملاء مقالاته لحاجة قد تعرض له أحد كبار الطلبة في الكتابة لشيخ الثعالبي الذي يستمر في إملائه عليه إلى المغرب لايتعب ولايرجح عليه وذلك لقوة عارضته وعبقريته في البلاغة [1]

المبحث الثاني: موقف الثعالبي من قضايا عصره

اهتم عبد العزيز الثعالبي بعديد من القضايا الاجتماعية و السياسية التي كانت مدار نقاش في عصره كالمرأة و الطرق الصوفية و كذلك موقفه من الاستعمار الغاشم الذي احتل بلاده.

1 موقفه من الاستعمار:

كان الثعالبي لا يتجاوز سبع سنوات عند احتلال تونس و قد شهد و ه وصغير دخزل جنود الاحتلال بلاده، فولد لديه إحساس بالقهر و الانتقام في وقت واحد [2] و قد كان له إتصال بالغرب في بداية عمله السياسي من خلال ارتباطه ببعض رجال السياسية و الإصلاح الأوروبيين و الفرنسيين، عما ربط علاقات متينة بالشخصيات الفرنسية الممثلة للحركات الرديكالية و الاشتراكية الفرنسية المتواجدة بتونس و المتعاطفة مع التونسيين و التفاعل مع أفكارهم و نشاطاتهم[3].

و لشدة إعجاب الثعالبي بالأفكار التحريرية إنظم إلى تنظيمات سبقوه كخير الدين التونسي و غيره من الذين كانوا يدعو إلى الإصلاح و ذلك من أجل تقدم تونس و نهضتها دون مساس بالشخصية التونسية و كان الثعالبي له موقف حيادي من الاستعمار الانجليزي و الفرنسي فكان يقول إن الاستعمار الانجليزي أحسن من الاستعمار الفر نسي و الايطالي لانهمك انو يمنحون مستعمراتهم حكما ذاتيا [4] . فكان ثعالبي مندفعا إلى مساحة النضال يدافع عن تونس منذ فجر هذا القرن و يناضل ضد الفساد و الطغيان بروح ثورية، فكان دائما ينظر إلى الاستعمار نظارة احتقار بالرغم أنه عرف السجون و المعتقلات و التشريد و المنفى. [5]

لقد الاستعمار نفيا لكل مقومات الوطن و تاريخه السابق للاحتلال فعمل الثعالبي على إحياء كل القوى الكامنة في المجتمع من أجل تأكيد الذات الوطنية و تحريرها و جعلها فاعلة لتاريخ الخاص بها،

---

[1] – الخرفي ،مرجع سابق،ص 47

[2] – عبد العزيز ثعالبي، تونس ...، مصر سابقا، ص05.

[3] – الثعالبي، روح التحرر...،مصدر سابق،ص 32.

[4] – رحاي، مرجع سابق، ص 192.

[5] – ثعالبي، الكلمة ...، ص10.

فالاستعمار هو فعل مؤسس لهزيمة تاريخية زعزعت لدى الثعالبي بنية التفكير و التقدير لتقوده نحو رغبة في مراجعة شاملة لحال الأمة سياسيا و اقتصاديا و حضاريا [1] .

هو نفي الثعالبي لمصلحته هنا، و الاستعمار هو رد الثعالبي لمصلحته هناك،و أبي الله، إلا أن يستفيد الشرق و العروبة و الإسلام من الثعالبي هنالك، و يستفيد الشرق و العروبة و الإسلام من الثعالبي هنا فاعتبروا يا أولي الأبصار [2].

-موقفه من الطرق الصوفية:

كان الثعالبي يرى بأن الطرق الصوفية لها أثر سيئ على الإسلام والمسلمين فهي تصلب الإنسان إرادته واختياره وتفقده روح المبادرة ويقول أن الطرق الصوفية منتشرة في تونس بكثرة [3] ويرجع ذلك إلى عاملين، حيث أن السلطات الفرنسية منذ احتلالها لتونس لجأت لإنشاء الكثير من الزوايا وذلك من أجل نشر البطالة والزهد والثاني يعود إلى ملوك والقادة، وذلك لجهلهم وإيمانهم بتلك البدع [4].

- إن الطرق الصوفية ساهمت في تعطيل تقدم الحضارة الإسلامية وأخرت المسلمين عدة قرون إلى الوراء و أن المبادئ التي تنشرها و تبثها الطرق الصوفية هي مبادئ الفوضى الخرقاء التي لا تغتفر. كما يعتبر أن تعاليم الطرق الصوفية منافية للأخلاق و العلم مأوى يلتجأ إليها المجرمون و الزانيات [5].

لقد انحرفت الزوايا عن دورها الأصلي فصارت مقصدا لالتماس البركة و طلب المنفعة و ذلك بتقديم العطايا والهدايا وإقامة الحضارات مع ما يصاحب ذلك من أعمال الشعوذة و الخوارف لذلك فقدت بذلك دورها الاجتماعي التي كانت تقوم به[6].

حيث كان لا يؤمن بأولياء الله الصالحين و يقول لا وجود لواسطة بين الله و عباده اذ كان يعتقد إن الأولياء الصالحين واسطة بين الله و عباده و دعواتهم مقبولة عند الله فيتضرع الناس للوالي الصالح ليكون واسطة بينه وبين الله وكانت هذه الآفة منتشرة في البلاد العربية و لا تزال للأسف سائدة في بلادنا حتى يومنا هذا في تونس و المغرب و الجزائر و غيرها[7].

---

[1] – الذوادي، مرجع سابق،ص 03.

[2] – الخرفي، مرجع سابق،ص46.

[3] – رحاي: مرجع سابق، ص 107.

[4] –التيليلي العجيلي، الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، (1881–1939 م)، م 1، منشورات كلية الآداب بامنوبة، ص 148.

[5] – الثعالبي، روح التحرر ....، ص 83.

[6] – العجيلي، مرجع سابق، ص35.

[7] – رحاي، مرجع سابق، ص109.

و نتيجة للجهل المنتشرة في أوساط الناس يعتقدون خطا أن صاحب الزاوية أو الطريقة يعلم الغيب و بان له من النفوذ ما يجعله يتحكم في مصير العباد و هذا الاعتقاد جعل الفقراء قبل الأغنياء يساهمون بالقدر الأكبر من الأموال لأصحاب الزوايا حيث قال" و كم من مرة لاحظنا بعض الفقراء و المساكين يعمدون إلى بيع ملابسهم و أغطيتهم و أغذيتهم ليعطوا ثمنها إلى ممثلي الطرق الصوفية"[1].

- موقفه من المرأة:

يعتبر الثعالبي أول من نادى في تونس بتحرير المرأة المسلمة و قد تأثر بلا شك بكتاب قاسم امين "تحرير المرأة" الذي صدر سنة 1899[2]. إضافة لتأثره بآراء الراديكاليين و الاشتراكيين الفرنسيين و المستوطنين بتونس لذلك أولى الثعالبي اهتماما ملحوظ بالوضعية البائسة للمرأة المسلمة [3]

كما اعتبر تعليمها من شروط النهوض الاجتماعي شريطة ان يكون ذلك في حذر و حيرة و يعتبر طلب العلم واجبا على المرأة المسلمة [4].

لقد ميز الثعالبي بين صنفين من النساء نساء النبي "ص" و عامة النساء المسلمات و أن ما ورد في القرآن الكريم من آيات فبالنسبة لنساء النبي نزلت الآية "يأيها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنه و لكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا و لا مستأذنين لحديث أن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم و الله لا يستحي من الحق إذا سألتموهن متعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن و ما كان لكم لا تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما"[5].

كما بالنسبة لعامة النساء " و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمورهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن" [6]

عارض الثعالبي تعليم المرأة في المدارس الحكومية الفرنسية لأنه يعتبر ذلك انتحارا فالمرأة بالنسبة له هي حارس العائلة و حافظ المجتمع و دفعها في سبيل المدارس الحكومية يعني دفع ما بقي عن عبقريته الأمة إلى الهوة لكنه دعي إلى التعليم و تثقيف المرأة خارج إطار المستعمر الذي يدعوا إلى الاندماج و التجنيس [7].

---

[1] – الثعالبي، روح التحرر ...، مصدر سابق، ص60.

[2] –يعد قاسم أمين (1861–1908) من ابرز رموز التيار الفكري الإصلاحي الإسلامي الذي نادي بتحرير المرأة المسلمة في كتابه الذي صدر1899 و قد أثار هذا الكتاب موجة من الانتقادات لا في مصر فحسب بل في العالم العربي باسره ووقف الرأي العام ضده (أنظر، الساحلي، مرجع سابق، ص434).

[3] – الثعالبي، روح التحرر ...، مصدر سابق، ص32.

[4] – رحاي، مرجع سابق، ص 117.

[5] –سورة الأحزاب، الآية 53.

[6] –سورة النور، الآية 31.

[7] – الثعالبي، تونس ...، ص 66.

انتقد الثعالبي وضعية المر أة المسلمة في أقطار المغرب العربي بقوله " فلما إذن نرى المرأة المسلمة في أقطار المغرب العربي تستر وجهها بحجاب على هذا النحو من المتانة و لهذا ترتدي رداء الحايك، أو غطاء يجعلها تشبه رزمة من القماش أكثر مما تشبه شكلا إنسانيا و يجب كذلك تعليمها [1] لأنه واجب عليها [2]

هكذا يصرح الثعالبي بمواقفه الإصلاحية الجريئة ملتزما بمرجعيتين يكمل أحدهما الآخر مرجعية الإسلام الأول إسلام النبوة و الصحابة و مرجعية الحضارة كما تجسدت في المجتمع الأوروبي، و كأنه أراد أن ينقل لنا موقف رواد الجامعة الإسلامية الذين رأوا في معاملات الأوروبيين تطبيقا للإسلام دون اعتناقه [3]

- موقفه من العروبة و الوحدة الإسلامية

لقد أشعل الثعالبي روح القومية العربية في تونس و في كل مكان ذهب إليه، و دعى إلى الحرية والمقاومة و التجمع لذلك يعتبر من أئمة الدعوة إلى الوحدة العربية و تجسيداً لفكرة العروبة القومية، انظم الثعالبي إلى حركة القوميين العرب ونظرته للوحدة العربية تقوم على أن مفهومه للعرب يضم كل من يتكلم اللغة العربية[4].

كما يعتبر عبد العزيز الثعالبي من بين الذين دعوا للجامعة الإسلامية حيث كانت هذه الفكرة دائما في باله، حيث لم يشغله المنفى و الوطن عن طموحه الكبير إذ كان يرى أنه أينما كان الإسلام فثمة وطنه[5]. و بالرغم من مقاساة الثعالبي في شرق الأرض وغربها و المحاصرة من الأبعدين و ذوي القربى، و المطاردة بعيدا عن البيت و الأسرة فلم يزدد إلا وثوقا بدعوته إلى الوحدة العربية الإسلامية[6].

وإذا كان هدف الاستعمار هو إضعاف العالم الإسلامي و إخضاعه للهيمنة الغربية، فإن ضرب المقومات الروحية للشعوب المسلمة تأتي في صدارة هذه المواجهة الشرسة و يكمن محور كل هذه المقومات في كتاب الله و سنة الرسول(ص) و النيل كذلك من شخصية الرسول (ص)[7].

---

[1] – إن طلب العلم واجب على المرأة المسلمة كما تدل على ذلك بعض الأحاديث النبوية، فرعاية مصالحها ومصالح أبنائها و التفكير في مستقبلهم و مراقبة تعليمهم و تربيتهم (أنظر: عبد العزيز الثعالبي، روح التحرر في القرآن، مصدر سابق 24.

[2] – نفسه، ص 30.

[3] – نفسه، ص 38.

[4] – رحاي، مرجع سابق، ص 181.

[5] – عبد الرحمان خليفي، مرجع سابق، ص 51،52.

[6] – الخرفي، مرجع سابق، ص 49.

[7] – الثعالبي، الرسالة ....، ص 17.

يوم أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا 1911م و نزلت بجيوشها في ليبيا آخر معقل الخلافة العثمانية في المغرب العربي، برز الثعالبي كقائد شعبي التفت حوله الجماهير و قد سخّر طاقته من قلم و لسان للدفاع ضد الغزو الاستعماري و شدّد أزر المقاومة و التعاون مع القادة الأتراك، كما نظم في إطار" حركة الشباب التونسي"حملة واسعة لجمع التبرعات لصالح الهلال الأحمر العثماني و إعانة المتطوعين التونسيين، على الالتحاق بجبهة القتال و تمكينهم من بعض العتاد الحربي[1].

وبنظرة متفائلة لمستقبل الأمة العربية يستعرض و يصور الوسيلة للقيام بالنهضة و الدور التمهيدي للحرب و الذي تخلوا عنه لعدة قرون فيقول" إن الوسيلة الوحيدة للإحياء و التحرير عند العرب هو التفاهم فيما بينهم بدون وساطة [2] الحكومات على ما يضمن سلامتهم و تقدمهم و الرجوع إلى نهضتهم[3]".

ليست الوحدة العربية أمنية كاتب متهوس ولا حلم مؤرخ مختال أو خيال شاعر واهم، و لا خاطرة متردية في ذهن مكدرو لكنها حقيقة واقعية لاريب فيها، يغالطنا في تصويرها أدباء الفلسفة السفسطائية الذين يكابرون في الحقائق العلمية لغرض يرمون إليه، فالوحدة العربية كيان عظيم ثابت غير قابل للتجزئة و الانفصال [4] كما التقى الثعالبي برجال العروبة و الإسلام في القاهرة سنة 1931م[5].

---

[1] – محفوظ،، مرجع سابق، ص 215.

[2] – رأى الثعالبي أن الأمة العربية ذات وحدة عنصرية قوية قائمة على وحدة اللغة و الدين و التاريخ و المصالح المشتركة يضاف إلى ذلك عنصر حديث من عناصر التكوين الاجتماعي و هو عنصر التذمر و الكراهية لطغيان الاستعمار.

[3] – الجندي، مرجع سابق، ص 52.

[4] – نقلا عن صالح الخرفي، مرجع سابق، ص 106.

[5] –أنظر الملحق ص 84، صالح الخرفي، .....

الخاتمة

الخاتمة

و في الأخير توصلنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلي مجموعة من الاستنتاجات التي لا تعتبر أحكاما نهائية و إنما هي أفق لبحث جديد متواصل و من هذه النتائج :

- يعتبر عبد العزيز الثعالبي مصلحا دينيا واجتماعيا يؤمن بضرورة التجديد ويتميز بشخصية بارزة جذابة ومؤثرة إضافة إلى ثقافته العالية و الأفق الواسع وهذا بسبب ما شهدته الفترة التي عاش فيها من أحداث .
- تشبع بالأفكار الإصلاحية لخير الدين التونسي ومحمد عبده والأفغاني وعبد الرحمان الكواكبي ، كما ربط علاقات متينة بالشخصيات الفرنسية المتعاطفة مع التونسيين وتفاعل مع أفكارهم ونشاطاتهم .
- كان مجاهدا قد يقاتل على أكثر من جبهة وفي أكثر من ميدان وقد تحمل في جهاده هذا الكثير من الذي اعتقالا و محاكمة و تعذيبا ومصادرة وتشويها للسمعة ، لكنه لم يعبأ بما أصابه من أذي لأنه يجاهد في سبيل الله ومن أجل أمته العربية والإسلامية، كما انه أفني كل حياته في مقاومة الاستعمار الظالم وفضح خططه الرامية إلى طمس الهوية الوطنية وابرز مثال على ذلك هو نشر " كتاب تونس الشهيدة " ومطالبها سنة 1920م.
- يعتبر أب الحركة الوطنية في تونس فانخراطه المبكر في الحياة السياسية مكنه من البروز كشخصية سياسية وطنية وقومية خاصة بعد التحاقه بحزب " تونس الفتاة " وتأسيسه للحزب الحر الدستوري التونسي والذي كان يتمتع بقدرة ومهارة كبيرة في تسييره.
- عرف بكثرة إطلاعه وتعدد اهتماماته (صحافة ، تدريس ، كتابة ، الممارسة السياسية) فهو مؤلف قدير ومحاضر وكاتب بارع اتخذ من لسانه وقلمه أداتين لكفاحه السياسي والاجتماعي و الفكري وكانت لكتاباته آثارا بالغة في نفوس كل من تصل إليه ، كما عرف كذلك بكثرة رحلاته فقد طاف في دول المشرق

والمغرب العربي ودرس حالة الشعوب هناك ، كما زار العديد من دول أوروبا وآسيا ، وتفاعل مع كل ما هو جديد وحديث وهو ما أثر في بناء شخصيته

- إلتزام بمبدأين هما : إسلام النبوة و الصحابة من جهة و الحضارة الإنسانية عامة والتي تجسدت في ما وصل إليه المجتمع الأوروبي من تقدم من جهة ثانية .
- إهتم بفكرة الوحدة العربية والإسلامية ولعب دورا بارزا في ترسيخ فكرة العمل العربي المشترك ، ويعد من أبرز المناصرين لعروبة فلسطين ومقاومة الاحتلال البريطاني ومشروع تهويد فلسطين ، حيث قام بتحضير مؤتمر القدس بتنسيق مع الحاج أمين الحسين سنة 1930م.
- وهب نفسه لتونس،فقد عمل علي إصلاح ذات البين ما بين التونسيين سنة 1934م علي إثر انشقاق الحركة الوطنية إلي أن كاد أن يفقد حياته،ففشل في مساعيه واعتزل الحياة السياسية لحياة الكتابة والتأليف .
- كان مجددا و مصلحا و ثائرا علي المجتمع التونسي و ما يعيشه من أفكار خرافية سيطرت عليها الطرق الصوفية و هذا قصد تفويت الفرصة علي المستعمر الذي استغل هذا الجانب لصالحه.
- هو أول من نادي تونس بتحرير المرأة حيث خصص لها جزءا كبيرا في كتابه " روح التحرر في القرآن " ودعا فيه إلى تعليم المرأة المسلمة وفقا لتعاليم السنة النبوية الشريفة ، كما نادي بضرورة إعطائها حقوقها.
- مات عبد العزيز الثعالبي سنة 1944 م قبل أن يري رايات الحرية والاستقلال ترفرف على ارض تونس الخضراء ، فبكاه شعب تونس الصامدة وعاهده شبابها على الحصني في جهاد المستعمر ، كما بكاه العالم الإسلامي الذي جاب أقطاره ، ونعاه السياسيون والعلماء والقادة والأدباء والشعراء في صحف مصر وسورية والعراق وفلسطين وبقية العالم العربي.

الملاحق

الوثيقة رقم 01 : عبد العزيز الثعالبي

المصدر : عبد العزيز الثعالبي الكلمة الحاسمة ، حرض وتقديم وتعليق ، أحمد جغان دار المعارف للطباعة والنشر سوسة ، تونس 1989 م .

الوثيقة رقم :02 مجلة سبيل الرشاد

سبيل الرشاد

Habil Er-Rachad

المرجع : صالح الخرفي ، عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان

الوثيقة رقم :03 مجلة التونسي

إن جريدة «التونسي» هي أول جريدة فرانساوّية أنشأها التونسيون في الإيالة (...) وسيكون «التونسي» لسان حالهم حتى يحين اليوم الذي تمنحهم فيه الحماية رفع أصواتهم بالدفاع عن حقوقهم أمام مجلس نيابي.
فهذه الجريدة التي نديرها ونحررها ستتكفل لقرائها بالتعريف بأفكارنا وبحسن نوايانا نحو الوطن وساكنيه ولذلك كتبت على نفسها (...) أن تقاوم بأصدق لهجة كل مظلمة واعتداء يحيطان بمواطنينا بدون أن تسعى في إخفاء معايبهم. وستبذل أقصى ما يمكن من الجهد في درس المشاريع التي تهم الأهالي بأدّق طريقة وكذا كلما يعود بالنفع على جميع الأهلين لهذه الديار.
(...) وسنضع في مقدمة مطالبنا مسألة التعليم العام التي يتوقّف عليها حياة أو موت التونسيين إذ يؤلمنا كثيرا أن نرى تسعة أعشار مواطنينا لا يزالون تائهين في فدافد الجهل بعد مضي نحو ربع قرن على الاحتلال الفرنسي وإن إصلاح التعليم بكيفية تلائم حالة الشعب قد أصبح محتّما. وعلى فرنسا الديمقراطية أن تراعي شعائرها وأمياالها الحرة في جعل التعليم الابتدائي مجانا وجبريا في جميع أنحاء المملكة .
كما أننا سنشتغل بعرض مسألة تسهيل أسباب مزاولة العلوم الثانوية على الحكومة الحامية ومطالبتها بتنشيط نخبة التلامذة الذين ظهر اجتهادهم وتأكد تحصيلهم على مزاولة العلوم العالية لتتم لنا بهذه الطريقة تربية رجال أكفاء يمكنهم أن يدركوا الحظ الأوفر في إدارة شؤون بلادهم. على أن ذلك لا يتأتى لهم إلا متى فتحت في وجههم أبواب الإدارات وسمح لهم بالحق في الاستخدام ولذلك يتحتم علينا أن نطلب بأشد لهجة نسخ القرارات الصادرة بشأن حرمان الأهالي من الدخول في الامتحانات التي تهيئهم للمناصب الدوليّة والتي لم تبق لهم سوى بعض الخطط الصغيرة مثل الترجمة والحجابة إذ لا مسوغ لهذا الحرمان الذي أصيب به مواطنونا.
أما ما يتعلق بالحالة الاقتصادية فإننا سنحث الحكومة على الاهتمام بنشر التعليم الصناعي والزراعي بين طبقات العملة الأهليين لأن بلادا مثل بلادنا فتحت من جديد للحركة الاقتصادية يجب أن تكون لأهاليها الرتبة الأولى في إيجاد المصنوعات وغيرها.
ويتأكد البدء في تهيئة اليد العاملة لمباشرة الاشتغال بالمصنوعات العصرية وغيرها عامة كانت أو خاصة.
وإذا وفقت الحكومة إلى ذلك فإنه يتسنى لها انتشال بعض الصنائع اليدوية من الاندثار وذلك بنشر تعليم خاص لمتعاطيها وتنشيطهم بنشاطات رسمية.
وليس ذلك ليثنينا عن التفكير في أحوال الفلاحين من أهل البادية وهم أفقر الطبقات وأشدّها عوزا واحتياجا للمساعدات وأجدر بالرحمة والإسعاف. وسنشرع في ذلك بطلب حذف المجبى وتنظيم وسائل الإسعافات العامة بإحداث مستشفيات وتعيين أطباء معاونين من شبّان الأهالي وتأسيس صناديق احتياطية مع عدم إغفال نشر التعليم بينهم وتعميم العدل فيهم والتماس التساهل في معاملة الإدارات لهم.
ونلتمس من الحكومة أن تسمح لصغار الفلاحين الوطنيين ابتياع الأراضي الدولية على نسبة تعيّنها الإدارة التي لها النظر في ذلك وأن تنشأ لهم مراكز فلاحيّة بازاء المراكز الاستعمارية التي للأوروبيين.
أما مسألة العدلية التونسية فإن أهميتها في نظرنا لا تقل عن المطالب التي مرّ بنا ذكرها لأن العدل يعتبر في كل هيئة اجتماعية من أهم وأعز الأمور فيلزم للقيام بذلك أن تؤسس هيئة عادلة متوفرة الشروط.
لأن العدلية التونسية رغما عن الإصلاحات الجمة التي أجريت فيها ولا يجد مكابر إلى إنكارها سبيلا فإنها لم تزل على حالة غير مرضية ما دام المتقاضون لا يجدون أمامها الكفالات اللازمة للحصول على الحقوق.
ولذلك أخذنا على أنفسنا القيام بطلب إصلاحها وتنظيمها بكيفية مدققة تلائم روح مدنية العصر وجعل قوانين لها مدّونة يرجع إليها الناس في معرفة الحدود والحقوق والواجبات مع التفرقة بين السلطتين الإدارية والحكمية (...)

مقتطفات من افتتاحية العدد الأول من جريدة : « Le Tunisien» (التونسي)، 7 فيفري 1907، بقلم علي باش حانبه (نشرته بالعربية جريدة "التونسي" في 8 نوفمبر 1909).

الوثيقة رقم :04 عبد العزيز الثعالبي اثر عودته من المشرق 1937 م .

أعضاء الديوان السياسي في طليعة المرحبين بالثعالبي.
الحبيب بورقيبة عن يمينه، ومحمود الماطري عن يساره، وفي أقصى يسار الصورة البحري فيفة وصالح بن يوسف

316

المرجع : صالح الخرفي ، مرجع سابق ص 316 .

الوثيقة رقم : 05 لثعالبي مع رجال العروبة والإسلام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حضرات السادة الاجلاء الذين اجتمعوا في دار العروبة بمصر للمذاكرة في شأن تخليد ذكرى تقيد العرب للفور له الحسين بن علي وتنظيم حفلة تأبينه وهم من اليمين الى اليسار: الصف الاول: الشيخ احمد بهجي العلمي الشرعي . الدكتور عبد الرحمن شهبندر . الاستاذ عبد العزيز الثعالبي . الدكتور احمد قدري قنصل العراق في مصر. الاستاذ احمد زكي باشا شيخ العروبة .السيد عبد الملك الخطيب . الاستاذ الفنار زاقي . الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي . الصف الثاني: الحاج شفيق السماوي . الاستاذ تيسير ظبيان . الدكتور محمد مختار عبد اللطيف . الدكتور محمد سلمان . محمد افندي توفيق . الاستاذ كامل بك الجبلي سكرتير القنصلية العراقية بمصر

طبعت بمطبعة الطائف المنورة بباب اللوق بمصر

الثعالبي مع رجال العروبة والإسلام في القاهرة سنة 1931

المصادر

و

المراجع

المصادر والمراجع

❖ المصادر

1. بن باديس عبد الحميد ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، ط1، دار البعث،الجزائر 1406ه
2. بن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، الدار التونسية لنشر ،ط1972،3م
3. الثعالبي عبد العزيز ، روح التحرر في القرآن، تحقيق : حمادي الساحلي، ط1، بيروت 1985م
4. الثعالبي عبد العزيز ،تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ،جمع وتحقيق :د. أحمد بن ميلاد و محمد إدريسي، تقديم: حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي،1987م
5. الثعالبي عبد العزيز، الرحلة اليمنية،
6. الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1984م
7. الثعالبي عبد العزيز، خلفيات المؤتمر الإسلامي باالقدس، إعداد أحمد بن ميلاد،تقديم وتحقيق:حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1988،1
8. الثعالبي عبد العزيز، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132ه/750م، تحقيق: حمادي الساحلي،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م
9. الثعالبي عبد العزيز، محاضرات في التفكير الإسلامي والفلسفة،تقديم : حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م
10. الثعالبي عبد العزيز،الرسالة المحمدية ، من نزول الوحي إلى وفاته،تحقيق: صالح الخرفي ،دار إبن كثير ،دمشق، بيروت
11. الثعالبي عبد العزيز،الكلمة الحاسمة ،عرض تقديم تعليق:أحمد جغام، منشورات دار المعارف لطباعة والنشر ، تونس،1989م

12. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح(مذكرات) ،ج1، في تونس،1905م- 1925م، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر1976م
13. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح(مذكرات)،ج3،

❖ **قائمة المراجع**

1. أحمد ياغي إسماعيل، العالم العربي في التاريخ الحديث،ط1، مكتبة العبيكان، الرياض1997م
2. أحمد ياغي إسماعيل، تاريخ العالم العربي المعاصر،ط2، مكتبة العبيكان،الرياض2006م
3. أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، كلمات عربية لترجمة والنشر
4. البصري مير، أعلام الوطنية و القومية العربية،ط1، دار الحكمة، لندن 1999م
5. بن بلغيث الشيباني، الجيش التونسي في عهد الصادق باي (1854م-1881م) تحقيق: عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، جامعة صفاقس1995م
6. التلاتلي صلاح الدين، تونس الجديدة مشاكل ونظريات في فجل النهضة،دار النشر بوسلامة، تونس 1959م
7. الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر(ليبيا،تونس، الجزائر،المغرب الأقصى)،ط2، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات 2007م
8. الجمل شوقي، المغرب الكبير في العصر الحديث(ليبيا ،تونس، الجزائر، المغرب)،ط1، مكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة 1977م
9. الجندي أنور ، عبد العزيز الثعالبي رائد الحركة و النهضة الإسلامية،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1984م
10. حوراني ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة (1798م-1839م)، دار النهار للنشر، بيروت لبنان

11. الخرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق و المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان 1995م
12. خلف التميمي عبد المالك ، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي(المغرب العربي ، فلسطين ، الخليج العربي) دراسة تاريخية مقارنة، المجلس الوطني لثقافة و الفنون و الآداب،الكويت1983م
13. الذوادي زهير، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس 1989م
14. الزر كلي خير الدين، الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت 1990م
15. الزميرلي الصادق، أعلام تونسيون،تحقيق: حمادي الساحلي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م
16. الساحلي حمادي، فصول في التاريخ و الحضارة،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1993م
17. السرحاني راغب،قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011م،ط1، دار أفلام للنشر و التوزيع و الترجمة،القاهرة 2011م
18. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م
19. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج3، ط2، دار الغرب الإسلامي،بيروت
20. السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية 1891م-1908 م ، ط1،مؤسسة الرسالة بيروت، شارع سوريا 1977م
21. شاطر خليفة و آخرون، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات للبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس 2005م

22. شاكر محمود، العالم الإسلامي الحديث و المعاصر قارة إفريقيا، ج2، دار المريخ لنشر، المملكة العربية السعودية 1993م
23. الشريف محمد الهادي ،تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوشي ومحمد بن عجينة،دار سراس لنشر،تونس،1980
24. الشيخ رأفت، تاريخ العرب المعاصر، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية،1996م
25. عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ط1، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس
26. العجيلي التليلي ، الطرق الصوفية و الاستعمار للبلاد التونسية 1881م-1939م، م2، منشورات كلية الآداب بنوية ،1992م
27. عزة دروزة محمد ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج 1 المطبعة العصرية ، لبنان 1959 م .
28. الفورتي البشير ، أعلام النهضة الأدبية، دار الكتب العربية ،تونس 1952م
29. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر، تحقيق: حمادي الساحلي،ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس
30. المحجوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس،تقديم: عمر بن ضر، حليمة قرقوري، دار سراس لنشر، تونس1986م
31. محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1،ط2، دار الغرب الإسلامي، 1994م
❖ يحي جلال، المغرب الكبير(الفترة المعاصرة وحركات التحرير و الاستقلال،ج3، الدار القومية للطباعة والنشر 1966م.

مراجع باللغة الفرنسية

1- Abdelmula mahmoud l'université zaytounienne et le socete tunisienne . Tunis , 1971 .

❖ **الرسائل والاطروحات**

1 -حميدي أبوبكر الصديق " **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية من 1920 م – 1954 م** " (رسالة دكتوراه) قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2011 م .

2 -الخليفي عبد القادر" **أحمد التوفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر من 1899 م – 1983 م**" ، (رسالة ماجستير) قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 2007 م .

3 -رحاي محمد " **الأبعاد الثقافية والسياسية لحركتي عبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي** " ، (مذكرة ماجستير) ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2004-2005 .

4 -قدادرة شايب " **الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري من 1934 م – 1954 م دراسة مقارنة** " (رسالة دكتوراه) جامعة قسنطينة ، 2007 م.

5 -يزير امحمد " **عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 1874 م ، 1944 م** " مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2010 م – 2011 م .

❖ الموسوعات

1 -أبو حمدان سمير ، موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي ، دار الكتاب العالمي ، بيروت لبنان 1992 م .

2 -الزيدي مفيد ، موسوعة تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ط1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن 2004 م .

❖ **المقالات والدراسات**

1 -مجلة إسلامية المعرفة ، العدد 44 ، السنة 11 ، بيروت لبنان
(1427 هـ / 2006 م)
2 مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 06 ، الجزائر (1413 هـ / 1992م).
3 مجلة الشهاب ، ج 07 ، م 13 ، قسنطينة (1356 هـ / 1927 م) .

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة 01

الفصل التمهيدي الأوضاع العامة لتونس في عهد عبد العزيز الثعالبي 08

المبحث الأول : سياسيا 09

المبحث الثاني : اقتصاديا 13

المبحث الثالث : اجتماعيا 21

المبحث الرابع : ثقافيا 25

الفصل الثاني : شخصية عبد العزيز الثعالبي 30

المبحث الأول : حياته 31

أ -مولده 31

ب نشأته..... 32

ج- رحلاته 34

المبحث الثاني : إنتاجه الفكري والثقافي 40

أ -مؤلفاته 41

ب نشاطه الصحفي 48

المبحث الثالث : وفاته 51

الفصل الثالث : الثعالبي ودوره السياسي داخل تونس 56

المبحث الأول : انضمامه لحركة الشباب التونسي (تونس الفتاة)..... 57

المبحث الثاني : دوره في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي 64

المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي والحزب الدستوري الجديد 73

أ -الصراع بين الجديد والقديم 76

ب-محاولة إصلاحه 77

الفصل الربع : نشاط الثعالبي داخل الأمة العربية والإسلامية 82

المبحث الأول : نشاطه في المشرق 83
المبحث الثاني : علاقته بالرواد الجزائريين بعد عودته من الشرق..... 91
المبحث الثالث : عبد العزيز الثعالبي وقضايا عصره 97
الخاتمة 104
الملاحق..... 108
المصادر والمراجع..... 114